

الدكتور محمد محمد داود

اللغة والسياسة

في عالم مابعد ١١ سبتمبر

MOHAMED KHATAB



mohamed khatab

اللغة والسياسة

في عالم ما بعد ١١ سبتمبر

الدكتور محمد محمد داود

كلية التربية - جامعة قناة السويس .

دار غريب
للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة

الكتاب : اللغة والسياسة فى عالم ما بعد ١١ سبتمبر

المؤلف : د. محمد محمد داود

رقم الإيداع : ٢٢٠٢

تاريخ النشر : ٢٠٠٣

الترقيم الدولى : 7 - 699 - 215 - 977 - I. S. B. N.

حقوق الطبع والنشر والاقتباس محفوظة للنشر ولا يسمح
بإعادة نشر هذا العمل كاملاً أو أى قسم من أقسامه . بأى
شكل من أشكال النشر إلا بإذن كتابى من الناشر
المنشأ : دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع
شركة ذات مسئولية محدودة

الإدارة والطابع : ١٢ شارع نوبار لاخوغللى (القاهرة)

ت ٧٩٤٢٠٧٩ فاكس ٧٩٥٤٣٢٤

التوزيع : دار غريب ٣.٩ شارع كامل صدقى الفجالة - القاهرة

ت ٥٩٠٢٩٠٧ - ٥٩١٧٩٥٩

إدارة التسويق { ١٢٨ شارع مصطفى النحاس مدينة نصر - الدور الاول
والمعرض الدائم { ت ٢٧٣٨١٤٢ - ٢٧٣٨١٤٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

* إلى شهداء الانتفاضة
الذين تسيل دماؤهم ثمنًا للحق
* إلى الصامدين في وجه خداع السياسة
وطغيان الساسة
* أما الذاهلون فسوف يفرغهم شرٌّ قادم
ولن يجدوا من يرثي لهم

محمد داود

ثبت الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٩
السياسة بين اللغة والاصطلاح	١١
كلمات مادة (م و س) في العربية	١٣
السياسة وعلم السياسة	١٦
تعريف علم السياسة	١٧
السياسة والتعبير اللغوي	١٨
السياسة في الفكر الإسلامي	٢٠
مرحلة الخلفاء	٢١
إسهامات المسلمين في الفكر السياسي	٢١
السياسة والرموز اللغوية	٢٣
الخطاب السياسي واستشارة الرموز	٢٥
الحرب ضد الإرهاب	٢٦
العمليات الحربية منخفضة الشدة	٣٠
رموز لغوية غامضة	٣٢
الرموز اللغوية والرأي العام	٣٢
اللغة في عقول السياسيين	٣٣
الصراع اللغوي والقومية	٣٩
اللغة والقومية	٤١
المؤسسات التي تدعم لغاتها الوطنية في العالم	٤٤
اللغة الفرنسية	٤٤
اللغة الألمانية	٤٨
اللغة الإنجليزية	٤٩
اللغة العبرية	٥١
اللغة هزائم وانتصارات	٥٢

٥٥	علم اللغة السياسي
٥٧	اللغة شاهد على حركة الحياة
٥٨	السياسة والأخلاق واللغة
٥٨	علم اللغة السياسي
٥٩	العربية و علم اللغة السياسي
٥٩	الشعر السياسي
٦٠	الشعر صوت الحرب
٦٢	الشعر صوت السلام
٦٣	الشعر صوت الثورة والتمرد
٦٤	الشعر والدعوة الإسلامية
٦٧	وسائل الخطاب السياسي
٧٠	كيف تصنع الشعارات
٧١	اللغة والخروج من سجن الاستبداد السياسي
٧١	النكتة
٧٣	القصص السياسي
٧٣	الكاريكاتير
٧٥	الملاحم اللغوية للخطاب السياسي
٧٦	التكرار في لغة الخطاب السياسي
٧٧	التضاد في لغة الخطاب السياسي
٧٩	السامية بين الحقيقة العلمية وادعاءات اليهود
٨١	مصطلح السامية لغوياً
٨٥	التوظيف السياسي لمصطلح السامية
٨٧	حرب الكلمات
٨٩	مقدمة المترجم (الحدث في عيونهم)
٩١	الحرب ضد الإرهاب
١١٥	ملحق الترجمة

مقدمة

هذه محاضرات تتناول موضوعات ساخنة وقضايا لاهية من واقعنا الذى نعيشه ألماً ومعاناة، حتى صار فى قلوبنا مأتماً.

ونشطت همتى لأن تصنع شيئاً على مستوى الوعي والبناء الفكرى لشباب الأمة، أردت به أن نتجاوز حدود تفريغ شحنات الغضب عند الشباب فى كيل السباب والشتائم للعدو، ويكون ذلك منتهى امرنا. شئ مخجل ومؤسف أن نكون ظاهرة صوتية.

وتصحیح الأفكار واسترداد الوعي يمثل البداية الصائبة والمجادة، لأن نغير ما بأنفسنا من علل أو خلل.

إنها هموم أمتنا وآلام واقعنا، وإهمالها دون مواجهة ومعالجة معناه أن تأنى علينا هذه الهموم وتفتك بنا هذه الآلام.

لقد أردت بمناقشتها من منظور لغوى أن لا تمر المحنة دون أن نعلم أبناءنا الدرس، وعلى قدر ما أثارت هذه القضايا من هموم وأحزان فإنها - فى الوقت نفسه - حملت دلالات وبشارات للأمة، تمثلت فى إقبال الطلبة على مناقشة هذه القضايا، وبذل الجهد فى البحث عن حقائق هذه الأمور، وهذا يؤكد لنا أن شبابنا ما ذاب فى الآخر، ولا تخلى عن أصالته، وأنه لا يقل عن أسلافه فى الاستعداد للتضحية والفداء، هذا من جانب.

ومن جانب آخر فإن هذه المحاضرات تناولت قضايا سياسية من منظور لغوى، وهو جانب تفتقر إليه المكتبة العربية، ولعل فى هذه البدايات ما يشجع سير أغوار هذه القضايا؛ فالعلم هو القوة وهو أساس الحضارة.

ولعلّى أعود إلى هذه المحاضرات فأعمّق مباحثها وأحيط بقضاياها لنلتقى
فى إنجاز آخر أكثر نضوجاً وعمقاً.

والله الموفق

والحمد لله رب العالمين

د. محمد محمد داود

مكتبة العلماء

ت : ٥٦٨٥١٢٢ فاكس ٥٦٩٤٢٠٢

السياسة

بين اللغة والاصطلاح

- ١ - السياسة لغويًا.
- ٢ - السياسة اصطلاحًا.
- ٣ - السياسة والفكر الإسلامى.

كلمات مادة (س و س) فى العربية:

كلمة «سياسة» فى العربية مصدر للفعل (ساس) من المادة (س و س)، وقد وردت كلمات كثيرة من هذه المادة فى نصوص الشعر الجاهلى، والنثر الجاهلى، والحديث النبوى الشريف، والمعجمات العربية، ولم ترد الكلمة ولا أى من مشتقات مادتها فى القرآن الكريم، ووردت الكلمة ومشتقاتها فى العربية المعاصرة مع تطور دلالتها عن طريق تخصيص دلالتها أو تعميمها، أو عن طريق الانتقال الدلالى.

ولعل أقدم معنى ورد للكلمة فى القديم هو المعنى الحسى الذى ذكره ابن منظور وبدأ به شرح المادة:

السُّوس والسَّاس : لغتان، وهما العُثَّةُ التى تقع فى الصُّوف والشَّباب والطعام، ومنه قول زُرارة بن صَعْب حين قدم له طعام أصابه السوس :

فَد أَطْعَمْتَنِي دَقْلًا حَوْلِيًّا مُسُوسًا مُدَوَّدًا حَجْرِيًّا

ومن شرح ابن سيده للبيت قوله : السُّوس العُثَّةُ، وهو الدود الذى يأكل الحب، واحدته سوسة، حكاه سيبويه، وكل أكل شىء سوسه دوداً كان أو غيره^(١).

وكما يُطلق السُّوس على الدود الذى يصيب النبات فيأتى عليه، يطلق أيضاً على الداء الذى يصيب عجز الدابة حتى يأتى عليها، والجامع بين الدالتين: أن كليهما داء يأتى على الشىء.

(١) لسان العرب، والمخصص، مادة (س و س).

ويمكن استنباط الملامح الدلالية للمعنى الحسى السابق (السُّوس)،
وإجمالها فيما يلى :

١ - الخفاء .

٢ - التدرج فى تحقيق المقصد، فهو لا يأتى على الشئ مرة واحدة. وإنما شيئاً
فشيئاً.

٣ - الحيلة والمكر.

وتؤكد هذه الملامح بتأمل التشبيه المعاصر لمن يسعى لمقصده (خيراً أو
شراً)، بنوع من الحيلة والمكر فى خفاء وتدرج بقولنا : فلان سوسة.

وهذه الملامح تظهر فى بقية دلالات المادة، مع تنوع الدلالات الفرعية
للمادة فى علاقتها بالاصل الحسى قوة وضعفاً بحسب قربها أو بعدها منه .

كما سيظهر من العرض الآتى :

٤ - السُّاسُ : القادح فى السن، أى الذى تامل وضرب فى الزمن، ويظهر هنا
ملمح التدرج بوضوح، وهو الجامع الدلائلى لهذه الدلالة مع الاصل الحسى
للمادة.

٥ - السُّوس : الاصل والطبع والخلق والسجية، يقال : الفصاحة من سوسه،
والشجاعة والصدق ... إلخ، أى : من طبعه، ويظهر هنا ملمح التدرج
حيث لا يتكون الطبع مرة واحدة، وإنما بمرور الوقت .

٦ - ساس الدواب يسوسها سياسة، إذا قام عليها وراضها، وذلك لغرس وتاصيل
الصفات المرغوبة، وهنا يظهر ملمحان : التدرج والحيلة.

٧ - السياسة : القيام على الشيء بما يصلحه، وسان الأمر سياسة : نهض به، وهذا هو المعنى الذى أخذ منه سياسة الرعية، يقال : ساس الوالى الرعية يسوسها سوساً وسياسةً، إذا ملك أمرهم، ومنه فى الحديث الشريف : «كانوا بنو إسرائيل يسوسهم أنبياءهم»^(١) أى : تتولى أمورهم كما يفعل الأمراء والولاة بالرعية .

والسياسة نوع من الاهتمام والرعاية والقيام بالشئون بهدف بلوغ مقاصد بعينها تعدُّ أصولاً للحياة الإنسانية، والتدرج والخفاء والحيلة ملامح واضحة فى هذه الدلالة وما بعدها من الدلالات .

٨ - ويتصل بالمعنى السابق : السياسة بمعنى القيادة والتوجيه فى كل الأمور، كما فى قول الشاعر :

سادة قادة لكل جميع ماسة للرجال يوم القتال

أى : يوجهونهم نحو المقاصد والأصول المرغوبة .

٩ - يوصف الرجل المحرب المهنك بالسياسة، فيقال : هذا رجلٌ ساسٌ وسيسٌ، أى : أمرٌ وأمر عليه، وهى من كنايةات العموم، أى : خبِرَ الأمور كلها حلَّوها ومرَّها، فتأصلت فيه الحكمة والتجربة .

١٠ - سوسَ فلان لفلان أمراً : زينه وسهله وسوَّله، فركبه، كأنما جعله طبعاً راسخاً متاصلاً فيه لا يستطيع أن يتخلى عنه .

يتحصل مما سبق أن الجذر (س و س) يدور حول معانى : التجربة، والحنكة، والقيادة، والرعاية، والإصلاح، وهى أصل وجماع الخبرة البشرية .

(١) النهاية فى غريب الحديث والاثَر، ٤٢١/٢ .

السياسة وعلم السياسة : Politics and Politics Science

تتعدد تعريفات السياسة؛ بسبب اتصال السياسة بكل نواحي الحياة. ومن هنا فإن علماء كل تخصص يركزون في تعريفهم على الجانب المهم في تخصصهم، فالاجتماعيون يرون أن السياسة نشاط اجتماعي، والسلوكيون يرون أن السياسة هي فن ضبط وتنظيم سلوكيات الناس بينهم وبين بعض وبينهم وبين الحاكم، وأهل الفلسفة يرون أن السياسة هي فلسفة الحكم، والواقعيون يرون أن السياسة هي فن الممكن على أرض الواقع، ويرى الإداريون أن السياسة هي فن القيادة.

ومن بين التعريفات الاصطلاحية للسياسة التي تنسم بالدقة والشمول التعريف التالي:

السياسة هي: النشاط الاجتماعي، الفريد من نوعه، الذي ينظم الحياة العامة، ويضمن الأمن، ويقيم التوازن والوفاق، من خلال القوة الشرعية والسيادة بين الأفراد والجماعات المستقلة، على أساس علاقات القوة، والذي يحدد أوجه المشاركة في السلطة بنسبة الإسهام والأهمية في تحقيق الحفاظ على النظام الاجتماعي وسير المجتمع^(١).

علم السياسة :

البداية :

بدأ علم السياسة في إطاره الحديث على شكل حوار قام به سقراط وأفلاطون مع السفسطائيين الذين حاولوا تجريد السياسة من عامل القيم الخلقية.

(١) راجع: موسوعة السياسة، حرف السين.

وجاءت « جمهورية » أفلاطون نتاج دراسة لأنظمة وفلسفات الحكم المختلفة، ومدى ارتباطها بهدف تحقيق الصالح السياسى العام للمجتمع، أما أرسطو - الذى يعتبر رائد علم السياسة - فقد حاول رسم معالم السياسة عن طريق دراسة أسباب انهيار الحكم والدول، وأسباب النجاح، وأفضل طرق تحقيق الاستقرار، وفن الحكم والدولة دون قيود أخلاقية.

وفى عام ١٨١٣م اقترح المفكر الاشتراكى المثالى « سان سيمون » بأن تتحول السياسة والأخلاق إلى علوم « وضعية »؛ بأن تستند إلى الدليل الموضوعى عوضاً عن المفاهيم والنظرات الذاتية، كى يتحقق لها الرقى والتقدم عن طريق الوقوف على أسباب التقدم الاجتماعى .

تعريف علم السياسة :

علم السياسة هو الدراسة المنهجية العلمية لمسألة الحكم بوجوهها المختلفة، عن طريق تطبيق الأساليب العلمية فى المراقبة والقياس والتحليل . أى : هو دراسة السياسة دراسة علمية .

وتطور علم السياسة فى الولايات المتحدة الأمريكية بتطور دراسة العلوم المنهجية لدراسة الدولة على أسس مبنية على تحديد المفاهيم، ونحت التعريفات وإجراء المقارنات، لتصبح السياسة علماً مستقلاً عن التاريخ والاقتصاد والفلسفة الأخلاقية، وأصبح لعلم السياسة مناهج متنوعة ونظريات تمثل اجتهادات العلماء فى هذا العلم .

وركزت المدارس الأمريكية الحديثة على دراسة الجوانب الاجتماعية، حتى ظهرت مدرسة شيكاغو ودرستها للسلوك الانتخابى والنتائج الانتخابية

وأساليب الاستفتاء واستطلاع الراى العام، بالإضافة إلى علماء السياسات مثل :
« جماعات الضغط » و« اللوبى » و« الحكومة الخفية » التى تحرك الحكومات
المعلنة، ودور الزعامة والأحزاب السياسية، بالإضافة إلى الدور المهم للمدرسة
السلوكية فى علم السياسة .

السياسة والتعبير اللغوى :

لما كانت السياسة تتصل بكل جوانب الحياة دخلت كلمة « السياسة » فى
تعبيرات لغوية عديدة فى العربية المعاصرة، أهمها :

● كلام سياسة :

بمعنى أنه كلام لترضية الآخر وتهديته، وقد لا تتحقق وعوده، ونجد هذا
التعبير فى قولنا :

□ أكثر المرشح فى الانتخابات من الوعود البرأفة، فقال بعض الحاضرين :
هذا كلام سياسة .

● سياسة الأجور :

هى السياسة التى ترمى إلى تحديد الأجور فى بلد ما فى إطار شامل، وقد
تكون وسيلة لمعالجة التضخم ضمن خطة اقتصادية، ولتحقيق العدالة
الاجتماعية؛ وذلك بالعمل على ربط سياسة الأجور بمستوى الأسعار .

ومن الأمثلة على هذا التعبير :

□ انتهت حكومة عاطف عبيد من وضع سياسة للأجور تتناسب مع غلاء
الأسعار .

● سياسة الاستثمار :

بمعنى تنمية الربح - من خلال تحسين وسائل الإنتاج - وتحويل المال إلى رأس مال منتج، ومن أمثلة هذا التعبير في العربية المعاصرة :

□ الانفتاح الاقتصادى يركز على إحياء ودعم سياسة الاستثمار فى مصر.

● سياسة الأسعار :

تنظيم الاسعار بين القطاعات المختلفة ونظم مراقبتها مع مراعاة العرض والطلب، بما يحقق المصلحة للمنتج والمستهلك، ومن أمثلة التعبير فى العربية المعاصرة :

□ الدولة تلعب دوراً مهماً فى مواجهة التضخم برسم سياسة للأسعار تتناسب مع ظروفنا الاقتصادية.

● سياسة الأمر الواقع :

وتعنى : نعتد تغيير الأوضاع بشكل عملى وبدون مسوغ قانونى أو شرعى عن طريق إنجاز أمر ما بتمنذر الرجوع عنه، أو إعادة الأمور إلى ما كانت عليه، بهدف إرغام الطرف الآخر على الرضوخ للأمر الواقع.

ومن الأمثلة على هذا التعبير فى العربية المعاصرة :

□ إسرائيل تتعامل فى فلسطين بسياسة الأمر الواقع.

● سياسة الباب المفتوح :

هى ترك فرصة للحوار وعدم حسم الأمور نهائياً.

ومن أمثلته فى العربية المعاصرة :

□ الرئيس مبارك يستخدم سياسة الباب المفتوح مع الحكومات العربية .

● السياسة الشرعية :

يطلق مصطلح السياسة الشرعية في الفكر السياسي الإسلامي، ويُراد به :
السياسة التي تعتمد على نصوص القرآن والسنة، وتدور في إطار الشريعة
الإسلامية، وقد أَلَفَ بعض العلماء مصنفات بهذا العنوان، منها : السياسة
الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، لابن تيمية، ومن أمثلتها في العربية
المعاصرة :

□ السياسة الشرعية روحها العدالة وابتغاء مرضاة الله عز وجل .

● السياسة في الفكر الإسلامي :

بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، تحولت الدعوة من المستوى الفردي إلى
مستوى بناء المجتمع والدولة الإسلامية، واخذ تنظيم الدولة أشكالا من
الممارسات السياسية، منها على سبيل المثال :
* المؤاخاة بين المهاجرين والانصار .
* كتابة الوثيقة بين المسلمين وغيرهم .
* إرسال الوفود كسفراء ودعاة إلى الدول المجاورة لعرض قضايا الإسلام
والدعوة إليه .
* استقبال الوفود بمسجده ﷺ .
* المعاهدات والصلح (صلح الحديبية) .
* إرساء مبدأ الشورى الذي أمر به القرآن الكريم، فيما لم ينزل فيه نص
قاطع .

● مرحلة الخلفاء :

بعد وفاة النبي ﷺ أخذت الممارسات السياسية أنماطاً تتناسب مع ظروف تلك المرحلة، فقد انقطع الوحي، وانتقل النبي ﷺ إلى جوار ربه، وأصبح هناك خليفة «أمير للمؤمنين» وأخذت البيعة شكلاً من أشكال الممارسة في تنظيم إسناد السلطة العليا.

ومع توسع الدولة الإسلامية توسعت الممارسات السياسية الخاصة بتنظيم أمور الدولة الإسلامية وشؤون الرعية فيها، وأهم ما يميزها هو انطلاقها من القرآن والسنة، ولذلك أطلق الفقهاء عليها اسم السيادة الشرعية، ويظل الحال هكذا حتى نهاية الدولة الأموية.

● إسهامات المسلمين في الفكر السياسي :

مع قيام الدولة العباسية نرى نشاطاً ملحوظاً في التشريع الإسلامي عامة، ومنه التشريع السياسي، فالمعهد العباسي هو عهد الأئمة الأربعة، ونرى اجتهادهم في استنباط الأحكام المالية والجنائية.

وتجملت في كتب الفقهاء والمحدثين في هذه المرحلة ألوان من الممارسات السياسية، أهمها :

الخلافة، والإمارة، والبيعة، وطاعة الإمام، وأعوان الأمراء (البطانة)، وبعض أحكام نظم الإدارة مثل : أحكام الزكاة، والجهاد، وبيت المال، والجزية، والقضاء، والحسبة ... إلخ.

ومن أهم الكتب التي وضعت في هذه الفترة كتاب الخراج، لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري (ت ١٨٢هـ)، وهو من أصحاب أبي حنيفة النعمان الذي أقام مدرسته الفقهية على الرأي، وفيه مسائل من الشورى والعدل والتعامل مع الرعية، والخراج والزكاة والجزية والغنائم والجنايات والقضاء ... إلخ.

وهناك من مدرسة أبي حنيفة أيضاً: محمد بن الحسن الشيباني (ت ١٨٩هـ) الذى ألف كتابه : السَّير الكبير، وتناول فيه نظم الحرب والعلاقات الدولية وموقع الأجانب من الدولة.

فإذا ما وصلنا إلى القرن الرابع الهجرى، رأينا أبا نصر الفارابى، (ت ٣٣٩هـ) الفيلسوف المشهور، يؤلف كتابه : «آراء أهل المدينة الفاضلة» وقد عالج فيه نظم الدولة.

وفى القرن الخامس الهجرى نجد الماوردى (ت ٤٥٠هـ) يؤلف : «الاحكام السلطانية» وهو رائد مشهود له فى هذا المجال.

وبعد بقليل فى مطالع القرن السادس الهجرى نرى الإمام أبا حامد الغزالى (ت ٥٠٥هـ) يؤلف عدة كتب فى الفكر السياسى الإسلامى أشهرها : «التبر المسبوك فى نصيحة الملوك».

إلى أن جاء ابن تيمية فى القرن الثامن الهجرى (ت ٧٢٨هـ) ومن أبرز ما صنف فى الفكر السياسى، كتابه : السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية. وفى القرن التاسع الهجرى يأتى ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) حيث وضع فى مقدمته البدايات الاولى لأسس علم جديد هو : «العمران البشرى»، أو ما يعرف الآن بعلم الاجتماع.

هذه نماذج فقط من إسهامات علماء المسلمين فى الفكر السياسى، والذى يجمع بين جميعها هو قيامها على الكتاب والسنة، أى أن السياسة فى الإسلام لم تتخل عن الاخلاق ولم تتنكر للقيم، فالحق والعدل والحرية وكل القيم التى دعا إليها الإسلام فى السياسة الشرعية (الإسلامية) ليست للمسلمين وحدهم، وإنما هى للناس كافة، فهى إذن سياسة تحفظ حق الآخر، وتضمن له الحماية والحرية والعدالة ، وكافة الحقوق .

السياسة والرموز اللغوية

السياسة والرموز اللغوية

ليست اللغة أداة لمسرح الأحداث السياسية فقط، وإنما تعد اللغة جزءاً من الأحداث السياسية نفسها، فهي تشكل معنى الأحداث، وتساعد على تشكيل الأدوار السياسية والسلوك العام للشعب؛ لذلك تتكامل اللغة مع الأحداث، كل منها يكمل الآخر، ويحدد كل منهما معنى الآخر والقصد منه. فبالنظر - مثلاً - إلى الرموز اللغوية التالية :

«الامن»، «الامن القومى»، «امن الدولة»، «المخابرات».

ل نجد أنها تؤثر فى السلوك السياسى لدى العامة حين تستخدم بعض الحكومات هذه الرموز اللغوية لإثارة العامة وتحفيزهم إلى تقديم المزيد من التنازلات والتضحيات فى أوقات الأزمات، ومواجهة أعداء الدولة. أيضاً قد تنسب نفس المصطلحات فى إثارة نوع من القلق لدى أفراد الشعب حين تلجأ الحكومة لفرض قوانين استثنائية للسيطرة على الأمن، وأوضح مثال على ذلك : قانون الطوارئ فى مصر. فإن كثيراً من أفراد الشعب ينتابهم القلق بسبب قانون الطوارئ والخوف من إساءة استخدامه.

لا بد من أن نضع فى الاعتبار الآثار التى تعكسها اللغة السياسية على فكر الناس ومشاعرهم وسلوكياتهم.

● الخطاب السياسى واستثارة الرموز :

يلجأ الخطاب السياسى إلى استثارة الرموز فى عقول ونفوس المخاطبين من أفراد الشعب كى يتمكن من تحقيق هدفه.

فحين يكون الهدف صرف الناس عن أمور معينة فإنه يصف هذه الأمور،

وتلك الاعمال بأنها : تمرد، تخريب، خيانة، مناهضة للسلطة، قلب نظام الحكم، جماعة محظورة، إرهاب، تطرف ... إلخ.

وفى المقابل فإن نفس الامور يمكن وصفها بأوصاف إيجابية تشير فى النفس الرضا، وفى العقل اقتناعاً، فيمكن مثلاً أن نجد الأوصاف التالية :

ضحايا الفقر، أو ضحايا الجهل ، أو ضغوط نفسية ... إلخ.

ولنضرب مثلاً على هذه المفاهيم : يمكن وصف السجين بأنه : سفاح، ومجرم، ويمكن وصفه بأنه ضحية الفقر، أو مضطرب العقل.

وما من شك فى أن هذه التعبيرات السياسية هى رموز لغوية تشير فى عقولنا ونفوسنا اهتماماً خطيراً يؤثر على نظرتنا للقضية أو الشخص.

ونجاح السياسة أو فشلها فى الوصول إلى أهدافها فى الإقناع والتواصل مع الشعب وتوجيه أفراده نحو الهدف السياسى المطلوب، يتوقف على حسن توظيف الرموز اللغوية التى لها رصيد فى عقول ونفوس أفراد الشعب.

وعلى المستوى العالمى تظهر هذه الحقيقة فى إطلاق أمريكا جملة من التعبيرات السياسية، واستخدامها كرموز لغوية تشير فى نفوس الشعوب الشعاطف مع موقف أمريكا، والاقتناع به أو تبريره - على الأقل - للشعب الأمريكى، ليظل مسانداً لحكومته، ومؤيداً ومناصرها لها.

وتظهر ازدواجية الخطاب السياسى الأمريكى فى عدة تعبيرات راجت بصفة خاصة بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر، ومن هذه التعبيرات :

● الحرب ضد الإرهاب :

هذا الرمز اللغوى يشير فى النفس الكراهية والعداء لكل ما هو إرهابى،

ولكن الإرهاب فى نظر امريكا كل ما يخالف مصلحتها، ولا يكون تابعاً ومسلماً لها.

فإرهاب الدولة الذى ترتكبه إسرائيل تسميه أمريكا : حق الدفاع عن الأمن، فى حين تطلق أمريكا على مقاومة المحتل أنه : إرهاب، والإرهاب الأمريكى الذى يتدخل فى شئون الدول وينتهك سيادتها، لا تسميه إرهاباً !!
وُجّه إلى العالم اللغوى الأمريكى نعم تشومسكى هذا السؤال :

* هل يمكن الفوز بما يُسمّى : حرب الامة على الإرهاب؟

فكانت إجابته : بأن الولايات المتحدة نفسها دولة إرهابية، وساق على ذلك شواهد عديدة^(١) :

* تعرضت نيكارا جوا فى الثمانينات لهجوم عنيف من قبل الولايات المتحدة راح ضحيته عشرات آلاف من سكانها، لقد دمر ذلك البلد تماماً، وربما لن يستطيع إعادة بناء ما دمر أبداً. كان ذلك الهجوم الإرهابى الدولى مصحوباً بحرب اقتصادية طاحنة، لم تستطع دولة صغيرة، تحاصرها قوة عظمى قاسية، تحملها كما يصف مؤرخو نيكارا جوا الكبار من أمثال توماس ووكر. إن آثار ذلك الهجوم على نيكارا جوا أقسى بكثير من المأسى التى حدثت فى نيويورك فيما بعد . لم ترد نيكارا جوا بالقضاء القنابل فى واشنطن، بل لجأت إلى المحكمة الدولية التى حكمت لصالحها، وأمرت الولايات المتحدة بالتراجع ودفع تعويضات كبيرة. تجاهلت الولايات المتحدة قرار المحكمة باحتقار، وردت فوراً بتصعيد الهجوم؛ لذا لجأت نيكارا جوا إلى مجلس الأمن الذى ناقش قراراً يدعو الدول إلى الانصياع للقانون الدولى، وصوتت ضده الولايات المتحدة منفردة

(١) ١١ سبتمبر، نعم تشومسكى ، القاهرة ، ميريت للنشر والمعلومات، ٢٠٠٢، ص: ٢٦، ٢٧، ٣٦، ٤٤، ٤٥، ٤٨، ٤٩.

بالرفض مستغلة حق الفيتو. وحينما لجأت نيكاراغوا إلى الجمعية العامة حصلت على قرار مماثل لم يصوت ضده إلا الولايات المتحدة وإسرائيل في عامين متتابعين، وانضمت السلفادور لهما في أحدهما.

* تحاول الحكومة الأمريكية الآن استغلال الفرصة من أجل فرض أجندتها الخاصة : خطط التسليح بما فيها نظام الدفاع الصاروخي، تسليح الفضاء من خلال التشفير، القضاء على البرامج الديمقراطية الاجتماعية، وتقويض الاهتمام بقضايا مثل: الآثار السلبية للعملة الرأسمالية، والبيئة، والتأمين الصحي، وخلافه. وكذلك خلق أطر مؤسسية للنظم التي تؤدي إلى توجيه الثروة لأقلية محدودة، مثل منع ضرائب الشركات، وزيادة سلطة النظام في المجتمع للقضاء على النقاش العام والمعارضة.

ويتساءل تشومسكي : ماذا عن التحالف بين الولايات المتحدة وروسيا والصين وإندونيسيا ومصر والجزائر ؟

ثم يجيب : كلهم في منتهى السعادة لنشوء نظام عالمي ترعاه الولايات المتحدة، يمكنهم من تنفيذ فظائهم الإرهابية. روسيا مثلاً ستسعد جداً للحصول على دعم الولايات المتحدة في حربها الوحشية ضد الشيشان؛ فنفس هؤلاء «المتنافخين» يحاربون روسيا، وكما الهند في كشمير، ستحصل إندونيسيا على الدعم الذي ترجوه لمجازرها في إقليم آكيه (ACEH). والجزائر ستشرح أيضاً للحصول على التصريح بمد إرهاب الدولة الذي تمارسه. ينطبق الأمر كذلك على الصين في حربها ضد القوات الانفصالية في المقاطعات الغربية، تلك القوات التي تضم مجموعة من الإسلاميين الذين كانت الصين وإيران قد دربتهما ليحاربوا روسيا، ربما منذ ١٩٧٨، كما تشير بعض التقارير. وهكذا تسير الأمور في مناطق كثيرة حول العالم.

* إن الولايات المتحدة مستمرة في ممارسة الإرهاب الدولي، وهناك العديد من الأمثلة، فحين وقع حادث أو كلاهما كان الجميع مصدومين ويشعرون بالإهانة، ولمدة يومين كانت عناوين الصحف تقول: «أو كلاهما صارت أشبه ببيروت». لم أجد من يوضح أن «بيروت أيضاً تشبه بيروت»، وأن أحد الأسباب هو قيام إدارة ريجان بتفجير إرهابي هناك عام ١٩٨٥ شديد الشبه بتفجير أو كلاهما، فقد فُجِّرَتْ شاحنة أمام مسجد في توقيت محدد لتقتل أكبر عدد ممكن من الناس عند مغادرتهم المسجد. وكما ورد في تقرير للواشنطن بوست بعد ذلك بثلاث سنوات، قُتل في هذا التفجير ٨٠ شخصاً وجرح ٢٥٠ أغلبهم من النساء والأطفال. لقد استهدف هذا التفجير أحد رجال الدين المسلمين الذي لم يكن يروق لواشنطن، ولكنه نجا من الحادث! لا أدري أيضاً أية تسمية نطلق على سياسات تعتبر عاملاً أساسياً في موت حوالي مليون مدني في العراق ونصف مليون طفل تقريباً كضمن تقول وزيرة الخارجية -«مادلين أولبرايت» آنذاك- إننا على استعداد على استعداد لدفعه، هل هناك اسم آخر لذلك؟ ذلك بخلاف دعم الولايات المتحدة للفظائع الإسرائيلية.

ثم يسوق تشومسكي المزيد من الأمثلة على إرهاب الدولة الأمريكية، ومن ذلك قيام إدارة كلينتون بمنح تركيا ٨٠٪ من الأسلحة التي سحقت بها الأكراد في واحدة من أبشع حملات التطهير العرقي.

أو لناخذ مثال تدمير مصنع الشفاء للصناعات الدوائية بالسودان، سطر قصير في سجل إرهاب الدولة سرعان ما نسيناه. كيف سيكون رد الفعل لو أن شبكة بن لادن قامت بتفجير نصف الإمدادات الدوائية في الولايات المتحدة والمعدات اللازمة لإعادة توفيرها؟ ذلك بغض النظر عن عدم عدالة المقارنة، فعواقب مثل هذا الفعل على السودان أشد بكثير. ماذا سيكون رد فعل الولايات المتحدة أو إسرائيل أو إنجلترا لو تعرضوا لمثل هذه البشاعة؟!

أما في هذه الحالة فنقول : يا للأسف، لقد وقع خطأ غير مقصود. لننتقل إلى الموضوع التالي ونترك الضحايا يتعفنون !

● العمليات الحربية منخفضة الشدة:

طرحَ هذا السؤال على تشومسكي : هل يمكن أن تُعرَّف باختصار الاستخدامات السياسية للإرهاب ؟ أين يقع في نظام المبادئ القائم ؟

فاجاب^(١) : إن الولايات المتحدة ملتزمة رسمياً بما يسمى العمليات الحربية منخفضة الشدة Low-intensity warfare ، ذلك هو المبدأ الرسمي . ولو قرأت التعريفات المنضبطة للعمليات منخفضة الشدة وقارنتها بالتعريف الرسمي للإرهاب كما في القانون الأمريكي أو الكُتَيْبات الصادرة عن الجيش، ستجد أنهما نفس الشيء تقريباً .

● محور الشر :

أطلقته أمريكا على دول ثلاث؛ هي : (العراق - إيران - كوريا الشمالية) .

فإيران تبني الدفاع عن فلسطين ومهاجمة الصهيونية، والعراق التي أنهكتها حرب الخليج، لم يصبح لديها قدرة العدوان على دول الجوار، وإنما المسألة رغبة أمريكا في وضع يدها على منابع البترول فيها لتكتمل سيطرتها على بترول الشرق الأوسط . وكوريا متهمه بأنها تصدر السلاح لكل من إيران والعراق !!

● الدفاع عن الحرية :

الحرية رمز يستثير الشعب الأمريكي، واستخدام هذا الرمز يحفز أفراد الشعب لمساعدة الحكومة ودعمها، وهو ما تمَّ توظيفه في الإعلام الأمريكي،

(١) المرجع السابق، ص ٦٠، ٦١ .

حيث ترددت تعبيرات : الدفاع عن الحرية، الدفاع عن النفس... إلخ.

ومن داخل أمريكا يأتي التفنيد لهذه التعبيرات الفضفاضة والحجج الباطلة التي ينطبق عليها : كلمة حق يراد بها باطل، وجاء التفنيد في بيان وقعه كُتّاب وفنانون وأكاديميون أمريكيون^(١). ومما ورد فيه :

« كلمة «الدفاع» تعنى : الدفاع عن الأرض القومية، وفي الحادى عشر من سبتمبر حدث هجوم على أرض الولايات المتحدة وضدها، ولم يكن هذا هجوماً تقليدياً من قِبَل قوى تقليدية كبيرة تهدف إلى احتلال الأرض، بل كان - بالاحرى - ضربة مجهولة ضد منشآت مستهدفة، وفي غياب ادعاء المسئولية عن الاحداث، فإن الطبيعة الرمزية للأهداف يفترض أنها واضحة، فمركز التجارة العالمى يرمز بوضوح إلى القوة الاقتصادية العالمية للولايات المتحدة، وهكذا يبدو غير متوقع - البتة - أن هجمات الحادى عشر من سبتمبر موجهة رمزياً ضد «القيم الأمريكية» كما يُحتفى بها فى الولايات المتحدة.

بالاحرى ، فإن الهدف الحقيقى يبدو أنه القوة العسكرية والاقتصادية للولايات المتحدة كما تظهر فى الخارج، وطبقاً للتقارير فإن خمسة عشرة شخصاً من مُختطفى الطائرات التسعة عشر الذين تم تحديد هُويتهم كانوا سعوديين معارضين لوجود القواعد العسكرية الأمريكية فى الأراضى السعودية، وتُوحى هجمات الحادى عشر أن الدولة التى تُبقى قوتها فى الخارج مُعرضةً للهجوم بالداخل، لكن الأمر الحقيقى هو تدخل الولايات المتحدة فى الخارج. والواقع أن حروب «بوش» تهدف - بالتحديد - إلى الدفاع عن «قوة» الولايات المتحدة بالخارج. إن الذى تدافعون عنه هو القوة العالمية للولايات المتحدة، وليس الحريات الداخلية، وطريقة الحياة... ».

(١) وثائق ثقافية، إصدار أكاديمية الفنون: القاهرة، ٢٠٠٢.

ومن حقنا نحن أيضاً أن نتساءل عن مفهوم الدفاع عن الحرية أو الدفاع عن النفس، هل هو حق إنسانى جماعى؟ أم هو حق للقوى العظمى التى لا تكثرث بالموت والدمار الذى يحل بغيرها من البلاد الفقيرة؟ يقول الموقعون على البيان السابق: «الإنسانية لها الحق أن تدافع عن بقائها ضد قوى عظمى ليس لها رادع».

● رموز لغوية غامضة :

وقد تلجأ الحكومات إلى رموز لغوية غامضة عن طريق التعبيرات غير المحددة لمواجهة القلق والاضطراب لدى أفراد الشعب بشأن قضية ما. فمثلاً إعلان بعض الحكومات أنها تعمل لرفع المعاناة عن الفقراء، ومساعدة محدودى الدخل، يُعطى انطباعاً بأن هذه الحكومة تعمل على مساعدة الفقراء والمحتاجين والتعاطف معهم، على الرغم من أن هذه الحكومة تعمل على رعاية الأغنياء وأصحاب الاستثمارات.

● الرموز اللغوية والرأى العام :

تلعب اللغة السياسية دوراً بارزاً فى تكوين رأى عام حول هدف معين أو لصالح قضية ما.

وقد تستخدم الأزمات التى تمر بها الشعوب كرمز مشير لتحفيز أفراد الشعب للالتفاف حول قائده ومساندة حكومته.

وعن طريق اللغة تتم إعادة تشكيل الازمة والحدث، مع انتقاء التعبيرات والكلمات التى تحظى برصيد وافر فى عقول ونفوس أفراد الشعب، وذلك على نحو ما حدث فى خطاب الرئيس الأمريكى «بوش»، والتركيز على قيم ورموز لها مكانتها عند الشعب الأمريكى.

اللغة

فى عقول السياسيين

اللغة فى عقول السياسيين

● السياسة هى الدراسة العملية والنظرية لفن وعلم السيطرة والحكم .
ولعلّ الصراع والصدام بين الافكار والمذاهب السياسية، وبين الاقاليم والشعوب،
هو الذى يعطى السياسة هذه الحيوية وهذا السحر .

وتتسم العملية السياسية - بما فيها من ادوار متباعدة - بمساحة من الاتفاق
واخرى من الاختلاف . والتقابل بين المساحتين يشكل بيئة خصبة لنمو الحلول
الوسطى، او لنمو العداة والكراهية .

وللغة دور اساسى فى خدمة الأغراض السياسية، وتشكيل الوعي
السياسى، إن دور اللغة فى السياسة لا يقل خطراً عن دور أسلحة الدمار فى
أيدي العسكريين .

وفى معترك الصراع بعد أحداث ١١ سبتمبر، تمر اللغة بمنعطف خطير،
حيث أصبحت - مع طغيان أمريكا وإدعاءات اليهود - لصيقة بالخداع
والاحتيال والتضليل، وكل الأساليب الخسيسة لسياسة أمريكا الإعلامية
المعاصرة، وفى عباةنها اليهود .

● لقد أصبحت مهمة اللغة فى السياسة المعاصرة هى الدفاع بالباطل عن
أقبح الجرائم، فقتل المدنيين العزل بالطائرات والدبابات، واحتلال الأرض، وهدم
البيوت، وإتلاف الزروع، وتهجير السكان، والاعتقالات الجماعية، ومذابح
جنين وصابرا وشاتيلا، كلها جرائم يدافع عنها بالباطل، حيث تطلق أمريكا
وإسرائيل : الحرب ضد الإرهاب .

● وتتمادى إسرائيل فى ادعاءاتها بشأن أرض فلسطين والقدس، محاولة

طمس الحقائق وتهويد الأرض، وإضفاء الضباب والغموض على الحق الفلسطيني تحت شعارات مثل : «الامن الإسرائيلي»، «شعب بلا أرض لأرض بلا شعب».

● وسياسة أمريكا وإسرائيل تقوم على حشد كم هائل من الأكاذيب والمراوغات، بما في ذلك اللجوء إلى التشبيهات والاستعارات الزائفة التي تُحَقِّقُ من شأن الفلسطينيين وتسلبهم كل حق إنساني، فالفلسطينيون في نظر اليهود جرادٌ بالقِياس إلى الإسرائيليين، تشير هذه الاستعارة إلى معنى الإبادة.

كما يُشَبَّه الإسرائيليون العرب بالصراصير، وقد وصف «باراك» مقاتلي حزب الله بقوله : «إن الحرب ضدهم مثل الحرب ضد البعوض». لقد حولهم إلى حشرات، ومثل هذه الاستعارات القبيحة استخدمها الصهاينة لوصف لبنان في نحو قولهم : «المستنقع اللبناني».

في حين أنهم يطلقون على أنفسهم أوصافاً فيها تمجيدٌ لهم، بأنهم دولة الديمقراطية والحضارة، ويصطفون أفضل التعبيرات السياسية لانفسهم، مثل : الصقور والحمام.

ويأتي دور الشائعات في تحقيق الأغراض السياسية، حيث يضح الإعلام الصهيوني ويردد كثيراً من الشائعات للوقية بين مصر وأمريكا، من ذلك اتهام «شارون» لمصر بتهديب أسلحة لدعم الانتفاضة الفلسطينية، كما اشاع «شارون» أنه قد نسَّقَ مع الرئيس حسني مبارك أمور السيطرة على الانتفاضة للوقية بين الشعب الفلسطيني والحكومة المصرية، كما ادعى أيضاً أن مصر أخفت وتستر على السفينة التي كانت محمَّلةً بالسلاح في طريقها إلى فلسطين.

يضاف إلى هذا ادعاء « شارون » وإشاعته أن العراق قد هرب أسلحة الدمار الشامل إلى سوريا، ومنها إلى مقاتلي حزب الله في لبنان، وادعاؤه أن العراق يؤوى بعض عناصر تنظيم القاعدة، ومعلوم أن العراق لا صلة له بتنظيم القاعدة، ولا يملك أى أسلحة للدمار الشامل، حيث لم يعثر مفتشو الأمم المتحدة على شيء من هذا.

أيضاً تستخدم أمريكا الشعارات البراقة في حربها الانتقامية ضد المسلمين والعرب، من هذه الشعارات : القضاء على محور الشر، حماية قيم الديمقراطية، حماية الحرية، تخليص المنطقة من ديكتاتورية صدام حسين، وحماية دول الجوار من اعتداءاته.

وكلها ادعاءات باطلة وشائعات مُغرضة، فإسرائيل تحاول أن تَجْنى من ورائها أهدافاً سياسية، تتمثل في السيطرة على المنطقة، وإنشاء دولة إسرائيل الكبرى. بينما تحاول أمريكا أن تُعيد رسم خريطة المنطقة، بهدف السيطرة على بترولها وثرواتها، وحماية حليفاتها إسرائيل وضمان تفوقها على العرب.

وهكذا يظهر أن اللغة مرآة فاضحة للنوايا والأفعال، فحين نسوء النوايا وتنتكس الأفعال، تنحدر اللغة وتسقط الكلمات.

الصراع اللغوى والقومية

اللغة والقومية :

عن طريق اللغة يكون البناء الثقافي للشعب، وحين تتعدد اللغة بسبب الاستعمار مثلاً، وتوجد لغة رسمية ولغة غير رسمية، ولكل لغة منهما تراثها الثقافي، فإن هذه الازدواجية تؤدي إلى لون من الصراع بين لغة المستعمر واللغة الوطنية، حيث يجد المواطن نفسه بين اتجاهين :

الأول : اتجاه اللغة الوطنية التي تحمل تراثه وأصالته، بجذورها الضاربة في التاريخ، وما تحمل من رصيد ثقافي وعادات وتقاليد تمثل هويته وخصوصيته التي تميزه عن غيره من الدول.

الثاني : اتجاه لغة المستعمر، فهي اللغة الرسمية التي يتم التعامل بها في المصالح والمؤسسات المختلفة، والتعليم وخلافه. ولا يستطيع المواطن أن يعزل نفسه عن لغة المستعمر لأنها لصيقة بمصالحه وشئون حياته.

والأمثلة التطبيقية كثيرة على هذا الصراع :

● في إطار اللغتين الإنجليزية والفرنسية، ظهر الصراع واضحاً في المناطق التي احتلتها فرنسا وإنجلترا خلال القرن التاسع عشر، وزيادة النشاط الاستعماري لإنجلترا وفرنسا لكثير من بلدان العالم، على سبيل المثال : كندا.

ففي أثناء حرب الاستقلال الأمريكية ١٧٧٦م وفي عام ١٧٩١م قُسِّمَتْ كَنَدَا إلى متحدثين بالإنجليزية في الجنوب الكندي، ومتحدثين بالفرنسية في الشمال الكندي، وسعت إنجلترا إلى إعطاء كندا الطابع الإنجليزي، في مقابل نشاط ملحوظ من الجانب الفرنسي لدعم الجانب اللغوي الفرنسي في المناطق التي كانت تابعة لفرنسا، وفي مناطق كندية، مثل كيبيك جعلت الفرنسية

لغة رسمية بها لأن معظم السكان يتحدثونها^(١).

● وفي إطار اللغة العربية نجد أن الجزائر في فترة الاحتلال الفرنسي قد تعرضت لصراع لغوي لاهب، لقد اجتهد الاستعمار الفرنسي في تعليم الناشئة اللغة الفرنسية، وجعلها لغة التعامل في المؤسسات (اللغة الرسمية) مع تنحية العربية عن كل موقع رسمي، وذلك ليقتن الاستعمار الفرنسي أن إتقان العربية يعنى الاتصال بالحضارة العربية والإسلامية، وهذا يقوى روابط الشعب بجذور الماضي وتراثه وأصالته، مما يقف سداً منيعاً أمام تحقيق رغبة الاستعمار الفرنسي التي تهدف إلى قطع صلة المواطن الجزائري بأصله وتراثه، أو على الأقل إضعاف هذه الصلة لدرجة أن ينعدم تأثيرها، وبذوب الشعب الجزائري في اللغة الفرنسية وثقافتها وتقاليدها، وبهذا تتم عملية الفَرَسَة لهذا الشعب^(٢)، من خلال دعم وجود اللغة الفرنسية وإضعاف وجود اللغة العربية في الجزائر وتنحيها عن كثير من المواقع.

وظل هذا الصراع ملتهباً بعد استقلال الجزائر سنة ١٩٦٢م، حيث كان عليها أن تجابه قضية خطيرة، وهي إعادة الحياة العربية إلى المدرسة الجزائرية، وكان الأمر صعباً؛ لأن هذه المدارس كانت لا زالت مفرنسة، وعملية التعريب ليست سهلة، وتحتاج إلى وقت، ولا يمكن إنجازها بين عشية وضحاها، ومن هنا احتدم الصراع اللغوي بين اللغة الرسمية، لغة التعليم، لغة المستعمر التي يمكن لها غاية التمكين في المدارس والمؤسسات، واللغة الوطنية (اللغة العربية) التي حوصرت في أضيق حدود ممكنة من التعامل، حتى أصبحت ثقيلة على لسان كثير من الناشئة الذين تعلموا في مدارس مفرنسة في كل شيء.

(1) Language and Politics, by: Thomas P. Brockway, U.S.A, 1965, P. 27.

(٢) راجع: في الثورة والتعريب، د. محمد مصايف، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨١م

وواصلت الإدارة الاستعمارية محاربته للغة العربية وفرض اللغة الفرنسية في الإدارة، والمحيط الاجتماعي، وأجهزة الإعلام، وكل المرافق العامة.

وقد ورد في قرار فرنسي صدر سنة ١٨٤٩م ما يلي :

«إن لغتنا هي اللغة الحاكمة ... فإن قضاءنا المدني والعقابي يصدر أحكامه على العرب الذين يقفون في ساحته بهذه اللغة، وبهذه اللغة يجب أن تكتب جميع العقود، وليس لنا أن نتنازل عن حقوق لغتنا، فإن أهم الأمور التي ينبغي أن يمتنى بها قبل كل شيء، هو السعي وراء جعل اللغة الفرنسية دارجة وعامة بين الجزائريين الذين قد عقدنا العزم على استمالتهم إلينا وإدماجهم فينا وجعلهم فرنسيين»^(١).

وفي المعسكر الشيوعي نجد الحزب الشيوعي الصيني في تركستان الشرقية قد منع استخدام اللغة «الأيغورية» في المدارس، وهي اللغة الأصلية لسكان البلاد؛ ذلك لأن اللغة الأيغورية هي لغة التكليف الديني الإسلامي هناك، ولأنها لغة الأمهات والآباء في تربية أبنائهم منذ نعومة أظفارهم، وتواكب هذه الخطوة خطوة أخرى هي إجبار أبناء المسلمين في تركستان الشرقية على دخول المدارس الصينية، ومنعهم من الالتحاق بالمدارس الوطنية لينشأ الشباب التركستاني المسلم جاهلاً بمبادئ الإسلام.

(١) اللغة والاقتصاد، ص ١٤٨.

المؤسسات التي تدعم لغاتها الوطنية في العالم :

● اللغة الفرنسية :

تلقي اللغة الفرنسية دعماً كبيراً، ولها مؤسسات تعمل على نشرها في مناطق واسعة من العالم، من هذه المؤسسات :

الفرانكفونية :

الفرانكفونية حركة فكرية تهدف إلى دعم وجود وبقاء القيم الفرنسية في دول العالم، وبخاصة في الدول التي كانت مستعمرة فرنسياً ثم انسحبت منها فرنسا، وذلك من خلال دعم الوجود اللغوي الفرنسي، ومدافعة التيارات اللغوية الأخرى .

ومصطلح الفرانكفونية يعود إلى عالم الجغرافيا الفرنسي : «أونزيم ركلو - Onesime Reclus» فقد وضعه في أواخر القرن التاسع عشر ١٨٨٠م للدلالة على الدول التي تستعمل اللغة الفرنسية، ثم صار فيما بعد دالاً على مجموع المستعمرات الفرنسية التي انسحبت منها فرنسا، وتحدث هذه المستعمرات - كلياً أو جزئياً - اللغة الفرنسية .

وفي عام ١٩٠٦م تم تأسيس الجمعية العالمية للكتاب باللغة الفرنسية، ثم توالى تأسيس الجمعيات والاتحادات حتى كان عام ١٩٦٢م عندما نشرت مجلة (الفكر) الفرنسية عدداً خاصاً عن «اللغة الفرنسية لغة حية»، وكان هذا بمثابة البيان الأول للفرانكفونية، ثم توالى تأسيس الجمعيات والاتحادات للدفاع عن اللغة الفرنسية .

وفي عام ١٩٧٠م تأسست الفرانكفونية بمفهومها الجديد باسم «وكالة

التعاون الثقافي والفني للتبادل الثقافي مع الحكومات، وأصبح لها مؤتمرات ومشاركات وإرساليات، من خلال مؤسسات وتنظيمات لها ميزانيات لدعم أنشطتها المختلفة، ولها حضور قوى في المؤتمرات الدولية مثل: مؤتمر السكان بالقاهرة ١٩٩٥م، والمؤتمر الدولي الرابع حول المرأة والتنمية في بكين ١٩٩٥م.

وفي قمة دكاكر الفرانكفونية (مايو ١٩٨٩م) أعلن الرئيس ميتران أن فرنسا سوف تلغى الدين العام للبلدان الأفريقية الخمسة والثلاثين الأفقر، وهو ١٦ بليون فرنك في جملته، وفي المقابل ينتظر من هذه البلدان أن تستمر في ضمان الدور المتفوق للغة الفرنسية في الحكومة والتعليم^(١).

وللمنظمة الفرانكفونية جانب إعلامي يتمثل في القناة التليفزيونية الفرنسية الخامسة الموجهة إلى الشعوب الفرانكفونية، وسائر المهتمين باللغة الفرنسية، ولدعم الوجود الفرنسي في العالم^(٢).

الفرانكفونية واللغة العربية في المغرب العربي:

بعد حصول المغرب على الاستقلال سنة ١٩٥٦م واجهت المغرب مخططاً فرانكفونياً، كان من أبرز محاوره اللغة، من خلال دعم حضور اللغة الفرنسية لتمثل الحضارة والتقدم، ومدافعة إحياء اللغة العربية وإظهارها في ثوب التخلف والجمود والتأخر والرجعية، حتى تُبقى على الأزواجية اللغوية: لغة التعامل الرسمي والإدارة والوثائق الرسمية (الفرنسية) ولغة التعامل الشعبي (العربية)، وكان اتجاه الفرانكفونية إلى فرنسة المغرب من خلال اتجاهين:

(١) اللغة والاقتصاد، فلوريان كولاس، ترجمة د. أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة: الكويت

(٢٦٣) ص ١٤٧.

(٢) راجع: الوكالة الفرانكوفونية بالإنترنت WWW Francophonie.org.Com.

الاول : إنشاء مدارس البعثة الثقافية الفرنسية، التي تكون الفرنسية فيها هي لغة التدريس، حيث تتم عملية فرنسة الطبقة البرجوازية وإعداد أبنائها للمراكز القيادية والمناصب العليا، ومحاولة ربط انتمائهم بفرنسا مجتمع الحضارة، والتشكر للعربية لأنها لم تقدم لهم الحضارة ، ولأنها لغة عامة الناس.

الثاني : يتمثل في تشجيع ودعم تدريس اللغة الفرنسية بمدارس التعليم الرسمي، حيث أقامت مراكز تدريس الفرنسية للطلبة مجاناً، وعقد المسابقات في الرواية والقصص القصيرة والمسرح والترجمة لتقوية ربط الطالب بالفرنسية التي هي «وعاء ثقافة فرنسا».

ونفس ما يحدث في المغرب يحدث في الجزائر، فقد وضعت السلطات الاستعمارية خطة محكمة لمحاربة اللغة العربية، باعتبارها المنافس الخطير للغة الفرنسية، حتى تضع الجزائريين الرافضين للغة الفرنسية في موقف صعب : بين الفرنسية، أو الجهل والامية.

فانتقمت من الجزائريين الرافضين للغة الفرنسية باعتبارها لغة العدو المحتل، بالقضاء على مراكز الثقافة العربية الإسلامية، ومدارس اللغة العربية، وحولتها إلى معاهد للثقافة الفرنسية، ومراكز للتبشير، وثكنات للجيش، ومساكن للمستوطنين، والباقي هدمته بدعوى إعادة تخطيط المدن الجزائرية، وإعادة بنائها بطرق عمرانية عصرية.

وإلى جانب هذا، فقد استعملت الإدارة الاستعمارية في الجزائر كل الأساليب في محاربة اللغة العربية، التي قد يختلف بعضها عن الأساليب المستعملة في المشرق العربي في محاربة العربية والدعوة إلى العامية أو اللغة الإنجليزية.

من هذه الأساليب المستعملة في الجزائر :

١ - حظر استعمال اللغة العربية في المجال الرسمي حظراً مطلقاً، ونفذ ذلك بدقة، ونتج عنه أن أصبح المتعلم باللغة العربية، والامسى في درجة واحدة أمام الإدارة الفرنسية، والهدف من هذا الإجراء دفع الجزائريين إلى تعلم اللغة الفرنسية لقضاء حاجاتهم.

٢ - عدم السماح للجزائريين بتأسيس مدارس ومعاهد تعليم اللغة العربية وثقافتها، والاكتفاء ببعض الكتابات لحفظ القرآن الكريم فقط دون تفسيره أو تدريس المواد الاجتماعية، وكل من يخرج عن هذا الشرط يغلق كتابه ويغرم ويؤزج به في السجون.

٣ - القيام بوضع الكتب المدرسية باللهجة العامية إرضاء لبعض الجزائريين، هذه العامية التي هي في الحقيقة خليط من العربية ولهجاتها، والبربرية، والتركية، والفرنسية، والإيطالية، والأسبانية، واعتبرت هي اللغة الجزائرية الحية بعد اللغة الفرنسية، لانتشارها بين الناس أكثر من غيرها.

٤ - فرض حصار محكم على تسلي الثقافة العربية الإسلامية من المشرق، حتى لا يخلق لهم مشاكل في توجيههم نحو فصل الشعب الجزائري عن أمته العربية.

٥ - ثم صدور قرار ١٩٣٨م المشؤم، الذي دعم خطة محاربة اللغة العربية التي بدأت تستعيد مكانتها مع تطور الحركة الوطنية الجزائرية الاستقلالية والإصلاحية ومطالبها.

هذا القرار الذي ينص ويؤكد ... اعتبار اللغة العربية لغة أجنبية في

الجزائر، ولا يجوز تعليمها في مدارس التعليم سواء كانت حكومية أو شعبية^(١).

● وهكذا يظهر لنا جملة من الحقائق في تأثير اللغة بالسياسة :

١ - أن ضياع اللغة أو ضعفها ضياع للقومية أو إضعاف لها، وأن من أقوى سبل المحافظة على خصوصية كل شعب وقوميته وأصالته : اللغة .

٢ - أن السياسة تعصف بالواقع اللغوي عصفاً رهيباً، فالأقوياء لغتهم لها التمكن والسيطرة والشيوع، أما الضعفاء فلغتهم لها الضعف والتخحية والإزاحة من مواقع التعامل والتأثير. إن التاريخ يصنعه الأقوياء .

٣ - أن اللغة من أقوى عوامل المحافظة على الهوية والقومية، ومن الخطورة بمكان أن يفرض الإنسان في لغته؛ لأن معنى هذا أنه يفرض في ذاته وراثته وأصالته، ومصيره الذويان في الآخر والتلاشي من الحياة !

● اللغة الألمانية :

نجد دعماً واضحاً لها من خلال انجمايين :

الهيئات التي تدعم الألمانية كلغة ثانية :

١ - هيئة التبادل الثقافي الألماني *DAAD* :

لها دورٌ ملحوظ في دعم اللغة الألمانية كلغة ثانية، من خلال تدعيم البعثات العلمية بألمانيا لغير الألمان، كما تقوم بتدعيم الأبحاث العلمية في دول

(١) وضع اللغة العربية في الجزائر، عبد الله بوخلخال، سلسلة كتاب قضايا فكرية، الكتاب السابع والثامن عشر، مايو ١٩٩٧، ص ١٤١ .

العالم، سواء تلك الناطقة بالألمانية أو بغيرها، ولها نشاط فعال في إعداد الدورات العلمية والمحاضرات المتعلقة بالحضارة الألمانية.

٢ - معهد جوته الألماني:

وهو منظمة خاصة تلقى دعماً من الحكومة الألمانية، بالإضافة إلى المنح والهيئات التي تأتي من بعض الجهات.

والمعهد يقوم بتدريس اللغة الألمانية ونشرها وتدعيمها في داخل ألمانيا، وفي خارج ألمانيا كلغة ثانية (أجنبية) وله نجاح ملحوظ في نشر وتدعيم وجود اللغة الألمانية والثقافة الألمانية، ومن فروع هذا المعهد «معهد جوته الألماني» بمصر^(١).

٣ - المكتب المركزي للمدارس الألمانية في الخارج:

تنفق ألمانيا على دعم اللغة الألمانية بالخارج حوالي ٥٠٪ من الميزانية الثقافية لوزارة الخارجية، ولا يمثل هذا المبلغ إجمالي ما ينفق، فهناك بعض الهيئات الوسيطة التي تتلقى أموالاً من جهات وأقسام أخرى^(٢).

● اللغة الإنجليزية:

الإنجليزية لها طغيان لا يقاوم على مستوى العالم؛ فهي لغة الحضارة والإنترنت... إلخ، ومن أهم المؤسسات التي تدعم اللغة الإنجليزية كلغة ثانية:

● الجامعة الأمريكية: وتقوم بدعم العامية والدعوة إلى إحيائها.

● المدارس الأمريكية: الإنجليزية لغة دراسة من الصغر، كي يفكر الدارس

(١)، (٢) اللغة والاقتصاد، ص ١٤٦، ١٤٧.

بالإنجليزية، ويعلم بالإنجليزية، وكان لهذا أثره الكبير في ولاء وانتماء هذا الطالب للإنجليزية.

وتستخدم الولايات المتحدة خمس هيئات مختلفة - على الأقل - للترويج للإنجليزية، وهى :

● وكالة التنمية الدولية (AID).

● وكالة الإعلان الأمريكية (USIA).

● فرق السلام (Peace Corps).

● إدارة الدولة (SD).

● إدارة الدفاع (DD).

وبإقامة المجلس البريطانى *British Council* (بميزانية سنوية حوالى ٢٠٠ مليون جنيه استرليني) أقامت بريطانيا مؤسسة فعالة للغاية لتنفيذ سياسة نشر لغتها المدعومة - بطريقة فعالة على نحو متسار - ببرامج تعليم اللغة فى هيئة الإذاعة البريطانية BBC المدعومة مالياً من القطاع الحكومى . وبرامج سلسلة « الإنجليزية من خلال الإذاعة والتلفزة » تصل إلى جمهور أكبر من جمهور أى برامج لغة أخرى فى العالم^(١).

● المعهد البريطانى :

وله نشاط كبير فى تعليم الإنجليزية، وتيسير سبل الاتصال بالثقافة الإنجليزية، من خلال الكتب والمطبوعات، والندوات، والمحاضرات، والمنع الدراسية.

(١) اللغة والاقتصاد، ص ١٤٧، ١٤٨.

● اللغة العبرية :

استطاع اليهود في أقل من قرن بعث اللغة العبرية، وتحويلها من لغة ميتة لا تكاد تستخدم إلا في أغراض دينية، وعلى نطاق ضيق في إطار الجيتو «المعزل اليهودي»، إلى لغة حية لها قاموسها وأدبها الذي حقق مستوى عالمياً بفوز «يوسف عجنون» بجائزة نوبل للآداب .

وهناك هيئات تقوم على خدمة العبرية، مثل : أكاديمية اللغة العبرية «Aqademiya la - Lashon ha - Ivrit»، وتعمل إسرائيل على تطبيق سياسة لغوية ذات أهمية رمزية، وأهمية حيوية أيضاً بالنسبة للدولة الحديثة، وخاصة بسبب الاستخدام الاصطلاحي الذي لا غنى عنه بالنسبة للعلم والتكنولوجيا والصناعة^(١).

كما أن هناك مركز دراسات العبرية الذي يقوم بنشر الثقافة واللغة العبرية، وكذلك تقوم جريدة «هآرتس» بهذا الدور من خلال موقعها على شبكة الإنترنت : «WWW.Haartz.Com»، وهناك موقع آخر بكل اللغات إلى جانب العبرية، عنوانه : «WWW.GooGle.Com.Ok» .

(١) اللغة والاقتصاد، ص ص ١٤٠ ، ١٤١ .

اللغة هزائم وانتصارات

● ١٩٦٧ ولغة النكسة :

بعد هزيمة الجيوش العربية في ١٩٦٧م أمام إسرائيل هزيمة نكراء، انتكست لغة الخطاب السياسي، وتجلّى ذلك في الظواهر اللغوية السياسية التالية :

● الكذب الفاضح في البيانات العسكرية الذي أفقد الناس الثقة في بيانات وأخبار الإعلام المصري.

● تعبير النكسة بدلاً من الهزيمة، وما يحمله من تعمية وتضبيب لصرف الجماهير عن مرارة الوضع وآلام الواقع.

● تعبير «اللا سلم واللاحرب»، ومثله تعبير «اللامنهزم واللامنتصر» للدلالة على جمود الموقف السياسي أو العسكري، وقد ساعدت هذه التعبيرات في وقتها على تسريب مشاعر الإحباط وأحياناً اليأس، ونلاحظ هنا بعض السمات اللغوية، ومن أهمها:

١ - استخدام لا النافية، نائراً باللغة الإنجليزية، لتسطيح المعاني وتجميعها.

ب - تركيب التعبير من معنيين متناقضين.

ج - الغموض وعدم الوضوح.

● تعبير «تحريك الأسعار» ومعناه الظاهر: التغيير المحدود للأسعار (زيادة ونقصاً)، لكن الواقع أنه كان ارتفاعاً حاداً للأسعار، ومما يزيد الطين بلة تبريره بأنه : «لرفع المعاناة عن الجماهير».

● تعبير «السياحي» حيث أطلق على المواد الاستهلاكية غالية الثمن،

التي تصلح للاستهلاك الآدمي، مثل : الارز السياحي، الخبز السياحي ... إلخ، وذلك لتمييزه عن الخبز المدعوم الرخيص المعيب .

لكن المستهلك لم يقبل الاستخفاف بعقله، ووجدنا رد فعل يميل إلى السخرية في تعبيرات شعبية كثيرة، من ذلك إطلاق بعض التسميات على بعض الممتلكات لدى الاثرياء ووجهاء المجتمع، تعبيراً عن حالة التناقض الصارخ في واقع المجتمع، مثل إطلاقهم بعض الأسماء على السيارات الفخمة الفارحة، نحو : الخنزيرة ، البودرة، الشبح، العيون ... إلخ.

● نصر أكتوبر ١٩٧٣ ولغة الحقائق :

كان لنصر أكتوبر ١٩٧٣ على إسرائيل أثر واضح على لغة الخطاب السياسي، يمكن ملاحظته في الظواهر التالية :

● صدق البيانات العسكرية الذي أحيى الثقة في الإعلام المصري .

● البعد عن الغموض في لغة الخطاب السياسي، فرأينا الرئيس الراحل أنور السادات يتكلم بضمير الحاضر، وليس بضمير الغائب، ويحترم عقل المستمع، فلم نجد البيانات العنترية التي كانت تصرخ وتهدد باننا « سنلقى بإسرائيل في البحر» وكل المبالغات غير المقبولة التي كانت سمة الخطاب السياسي الانفعالي المتدفع المشهور الذي لا يقوم على الحقائق.

وغابت كذلك العبارات التي تتركب من كلمات متناقضة المعنى، والتي تجعل المتلقى حائراً في تحديد المعنى المقصود منها، فاحتمالية المعاني المتعددة لمثل هذه التراكيب والتعابير توقعنا في اللبس والغموض .

وهكذا تصنع الهزائم والانتصارات في اللغة، انحطاطاً وسقوطاً أو رقياً وازدهاراً.

علم اللغة السياسى

● اللغة شاهد على حركة الحياة :

فى كل لحظة تمر يشهد العالم تطوراً متلاحقاً فى شتى مجالات الحياة، وتندفق مواليد شتى فى كل مجال، كالطوفان الذى يأتى قاهراً لكل ثوابت الواقع، لا يستشير أحداً ولا يستثنى شيئاً، وإنما هو قدر محتوم لا مفر منه، وهذا هو شأن الحياة: الحركة، التغير، التطور.

ولما كانت اللغة هى مرآة الحياة؛ فإنها تتأثر بكل أحداثها .

وفى القديم كانت السيادة المطلقة للكلمة المجردة التى تعتمد على عناصر التعبير اللغوية، أما فى المعاصر فقد تغير الموقف وشارك اللغة فى التعبير وسائل أخرى عديدة، مثل : الحركة، والصورة، الإشارات الضوئية... إلخ. وكان على اللغة أن تطوع من نفسها كى تتسبّد الموقف، وتحافظ على مكانتها فى المقدمة بين وسائل التعبير المستحدثة، فنشأ على مستوى الكلمة: فن الرواية، والقصة القصيرة، وكتابة الحوار (فن السيناريو). وتعددت مستويات النمط الواحد، فلفة الإذاعة مثلاً تتعدد مستوياتها من اليسر والسهولة إلى مستوى أعمق فى البرنامج المتخصص والتعليمى، وإلى مستوى معيارى فى نشرات الأخبار والتحليلات الإخبارية... إلخ.

وعلى المستوى المنهجى فى العلوم المعرفية المختلفة اهتم كل علم بالظواهر اللغوية التى تخدمه، وصار لكل فرع معرفى علم لغوى يختص به .

ومن بين العلوم التى نشأت فى الجانِب التطبيقى للغة علم اللغة السياسى .

وزاد من أثر السياسة فى اللغة تطور أدوات التعبير ووسائل الاتصال الجماهيرى من خلال الصحافة والإذاعة والتليفزيون تطوراً يحقق الهيمنة على

الجماهير والشعوب، وأصبح النفوذ السياسى يتخذ من النفوذ اللغوى الإعلامى سلاحاً حاسماً فى الإقناع بالافكار السياسية المختلفة، والترويج لها، وتحفيز الجماهير للمشاركة السياسية المختلفة.

والملمح المميز للخطاب السياسى المعاصر عن الخطاب اللغوى المتصل بالعلوم الأخرى (علم النفس، الاجتماع، التاريخ ... إلخ) أن الخطاب السياسى المعاصر لا يقوم على التعبير عن الحقائق فى كل أحواله، كما هو الشأن فى الخطاب اللغوى المتصل بالعلوم الأخرى، بل يتخلى الخطاب السياسى عن قيمة الصدق، ويتسم بالزيف والتضليل فى أغلب أحواله.

● السياسة والأخلاق واللغة :

السياسة تقوم على المصالح، وليس على إحقاق الحق أو احترام الافضل، وبالتالي تأخذ السياسة من اللغة ستاراً للتعبير عن أبشع الجرائم بالفاظ طيبة حسنة، وعلى العكس يتم التعبير عن الحق الذى يخالف المصلحة بأسوأ الالفاظ التى تُعدُّ تهماً يُعاقب فاعلها، وعلى المستوى الدولى نجد أمريكا وإسرائيل والمجتمع الغربى، نصف مقاومة المحتل بالعنف والإرهاب، ونصف الملتزم بدينه بالشرط، وتسمى حرب الإبادة للفلسطينيين بالدفاع عن النفس. إننا فى إطار اللغة السياسية نجد أن الالفاظ لا تعبر عن الواقع الحقيقى، وإنما تعبر عن المعنى المراد توصيله إلى الجماهير.

● علم اللغة السياسى :

علم اللغة السياسى أحد فروع علم اللغة الاجتماعى التى نالت اهتماماً ملحوظاً فى العصر الحديث، ويهتم هذا العلم بدراسة جواوب الخطاب السياسى، والتعرف على خصائصه اللغوية، وذلك للوقوف على أهم العناصر

والخصائص اللغوية التي تدعم هذا الخطاب، فيهتم بدراسة أنماط الخطاب السياسي ودوافعه وأهدافه، كما يدرس وسائل التأثير اللغوية على المستمع، والسمات والملامح الأسلوبية الخاصة بكل مجتمع، ويظل لكل مجتمع فكره السياسي، بل ولكل شريحة داخل المجتمع الواحد.

● العربية وعلم اللغة السياسي :

عرفت العربية على مستوى سياسة القبيلة أنماطاً من لغة السياسة تتمثل في الهجاء والفخر، فقد كان لكل قبيلة شاعرها وخطيبها، وكان الشعراء والخطباء يقومون بدور المتحدث الرسمي باسم القبيلة، فالشعراء هم الذين يروّجون لقيمتها ويمتخنون بمآثرها وأمجادها في قصائد الفخر، وهم الذين يحرضون الرجال في القتال بقصائدهم الحماسية الملتهبة، وهم الذين يهجون أعداء القبيلة ويهددونهم. بينما كان الخطباء هم المُقَدِّمين في الوفود، وفي المناسبات السياسية والاجتماعية المختلفة.

● الشعر السياسي :

كان لكل ملكٍ من ملوك القبائل بطانته التي لا تخلو من شاعر أو خطيب، أو كليهما، وبخاصة الملوك الذين كان لهم سلطان واسع كملوك الغساسنة والمناذرة. ومن أشهر هؤلاء الملوك : النعمان بن المنذر ملك الحيرة، وفيه أنشدت القصائد الغرُّ من مدائح واعتذاريات لكبار شعراء الجاهلية ، كالأعشى والنابغة الذبياني.

وتعددت الموضوعات السياسية التي عبّر الشعراء عنها، بتعدد واتساع الوشائج بين السياسة وبقية أشكال النشاط الاجتماعي، على النحو التالي :

* الشعر صوت الحرب :

كان للشعر العربي دور كبير في الحروب، بل إن مؤرخي الأدب^(١) يربطون بين نشأة الشعر العربي والحروب الكبيرة كحرب البسوس وحرب داحس والغبراء.

بدأت حرب البسوس بين قبيلتي بكر وتغلب بعد مقتل كُليب أخى المهلهل (الذى يُقال إنه أول من هلهل - أى: أرق وأطال - قصائد الشعر)، ويعلو صوت المهلهل مطالباً بالثأر لآخيه، ورافضاً عرض بنى بكر دفع الدية:

يا بَكْرُ اُنْشِرُوا لى كُليبًا يا لَبَكْرُ، اينَ اينَ الفِرَارُ ١٢

دامت حرب البسوس أربعين سنة، حتى أصلح الملك المنذر بين القبيلتين، ولكنه خشى أن تعودا إلى الحرب، فأخذ منهما مائة غلام رهائن، حتى إذا اعتدت إحدهما على الأخرى أقاد من الرهائن، وسار عمرو بن هند على خطة أبيه المنذر فى هذا، وذات يوم سَيرَ الملك ركباً من تغلب وبكر إلى جبال طيىء، فاجلئ البكريون التغلبيين عن الماء ودفعوهم إلى مفازة فتأهوا فيها وماتوا عطشاً؛ فغضب بنو تغلب وطلبوا ديات ابنائهم، فأبت بكر دفعها، فاحتكموا إلى عمرو بن هند، ولما كان يوم التقاضى انتدبت تغلب شاعرهما عمرو بن كلثوم للدفاع عنه، وانتدبت بكر أحد أشرافها النعمان بن هرَم، فأنشد عمرو بن كلثوم قصماً من معلقته بين يدي الملك، أما القسم الآخر فزاده عليها بعد أن قتل الملك.

(١) انظر: الشعر الجاهلي (خصائصه وفنونه)، د. يحيى الجبورى، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٧، ١٩٩٤، ص ٢٩٤. وانظر: تاريخ الأدب العربى فى العصر الجاهلي، السباعى بيومى، ص ٤٢ : ٤٥.

وفى مُعلقة عمرو بن كلثوم يتجسد صوت القبيلة والروح القبليّة فى أجلى صورها، والشاعر يستعمل كل المؤثرات اللغوية والبلاغية للتعبير عن قيم قبيلته وتعداد مآثرها ومفاخرها، يقول عمرو بن كلثوم^(١):

أَبَا هِنْدٍ فَلَا تَعَجَّلْ عَلَيْنَا وَأَنْظِرْنَا نُخَبِّرْكَ الْيَقِينَا
بِأَنَّا نُورِدُ الرِّايَاتِ بِيَضًّا وَنُصَدِّرُهُنَّ حُمْرًا قَدْ رَوِينَا
وَأَيَّامَ لَنَا غُـرُـرٌ طَوَالٍ عَصَيْنَا الْمَلِكَ فِيهَا أَنْ نَدِينَا

وتزداد نبرة الفخر القبليّ حماسة ومبالغة، فيقول :

إِذَا مَا الْمَلِكُ سَامَ النَّاسِ خَسَفًا أَبَيْنَا أَنْ نُقِرَّ الذُّلَّ فِيْنَا
مَلَأْنَا الْبِرَّ حَتَّى ضَاقَ عَنَّا وَمَاءَ الْبَحْرِ نَمْلُؤُهُ مَفِينَا
إِذَا بَلَغَ الْفِطَامَ لَنَا مَسْبِيٌّ تَخِرُّ لَهُ الْجَبَابِرُ سَاجِدِينَا

وفى حضرة الملك عمرو بن هند ردّ الحارث بن حلزة على عمرو بن كلثوم، وكان الحارث أبرص فراح يُنشد قصيدته ويمنه وبين الملك سبعة ستور، وكان لقصيدته وقع حسن فى نفس الملك، حتى رفع الستور التى كانت بينهما، وأدناه منه، وأطعمه معه فى نفس الإناء، ثم قطع رؤوس السبعين رهينة الذين كانوا عنده من بنى تغلب وسلّمها إليه، وفى معلقة الحارث من الدهاء فى التعريض بالتغليبين، وسرد الحوادث التاريخية، ومن الحكمة والحكمة ما يجعلها مثالاً للشعر السياسى فى العصر الجاهلى^(٢).

وفقد فتنّت معلقة عمرو بن كلثوم قبيلة تغلب، فراحوا يتغنون بها فى

(١) شرح المعلقات السبع، الزوزنى، مكتبة الرياض الحديثة: الرياض، د.ت، ص ١٦٣ ،

١٨٩، ١٧٢: ١٧١

(٢) المرجع السابق، ٢١٥.

كل محفل، حتى هجاهم شاعر بكرى قائلا^(١):

أَلْهَى بَنِي تَغْلِبٍ عَنْ كُلِّ مَكْرَمَةٍ قَصِيدَةً قَالَهَا عَمَرُو بْنُ كُلْثُومٍ
يَرَوْنَهَا أَبَدًا مُذْ كَانَ أَوَّلُهُمْ يَا لِلرَّجَالِ لِشِعْرِ غَيْرِ مَسْنُومٍ

● الشعر صوت السلام :

وعلى الجانب الآخر كان الشعر داعية للسلام وإطراح الخصومات والصراعات، ومن أبرز الامثلة على هذا : معلقة زهير بن أبي سلمى، التي نظمها في مدح الحارث بن عوف وهرم بن سنان اللذين أصلحا بين قبيلتي عبس وذبيان، بعد أربعين عاماً من الحرب الدامية التي عُرفت باسم حرب داحس والغبراء، فنظم زهير معلقته يمدح بها المصلحين لحقنهما الدماء، ويحذر الفريقين من شر الخيانة وإضرار الحرب، ومنها قوله^(٢) :

فَانْقَسَمْتُ بِالْبَيْتِ الَّذِي طَافَ حَوْلَهُ رِجَالٌ بَنُوهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَجُرْهُمِ
يَمِينًا لِنِعْمِ السَّيِّدَانِ وَجِدْتُمَا عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَبُزْمِ
تَذَارَكْتُمَا عَبَسًا وَذُبْيَانًا بَعْدَمَا تَفَانُوا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشِمِ
وَقَدْ قُلْتُمَا: إِنَّ نَذْرِكَ السَّلْمَ وَاسِعًا بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ الْقَوْلِ نَسْلَمِ
فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ بِمَعِيدَتَيْنِ فِيهَا مِنْ عُقُوقٍ وَمَائِمِ
عَظِيمَيْنِ فِي عَلَيَا مَعْدٌ هُدَيْتُمَا وَمَنْ يَسْتَبِيحُ كَثْرًا مِنَ الْمَجْدِ يَعْظُمِ

وما زلنا - إلى اليوم - نتمثل بأبياتٍ من هذه القصيدة عن الحرب وفضائلها، فنقول مع زهير :

(١) الأغاني ١١/٥٤.

(٢) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، أحمد بن يحيى ثعلب، الدار القومية للطباعة والنشر: القاهرة ١٩٦٤، ص ١٤ : ١٧.

وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمْ وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِ الْمَرْجُمِ
مَتَى تَبْعَثُوهَا تَبْعَثُوهَا ذَمِيمَةً وَتَضُرُّ إِذَا ضُرِّتُمْوهَا فَتَضُرُّ

* الشعر صوت الثورة والتمرد :

تجمع غريبان العرب ومطاريد القبائل في جماعة فريدة من نوعها عُرفت
باسم : الشعراء الصعاليك . وكلمة «صعلوك» تعني : الفقير الذي لا مال له ولا
اعتماد^(١)، ثم صارت علماً على هؤلاء المتمردين على الأوضاع القبلية
الخارجين على قيم المجتمع .

وكان الشعر صوتهم المعبّر عن قيمهم وثورتهم على قيم المجتمع وتقاليدِهِ،
ومن أشهر هؤلاء الشعراء : عُروة بن الورد، المعروف بعُروة الصعاليك، لأنه كان
يعطف عليهم ويرعاهم، على الرغم من أنه كان سيداً من سادات عبس،
والشنفرى صاحب لامية العرب، وفيها يعلن ثورته على أهله وقبيلته من أول
بيت، يقول^(٢) :

اقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطْيُكُم فإِنِّي إِلَى قَوْمِ سِوَاكُم لَأُمِيلُ
كذلك كان الشعر وسيلة من وسائل التخلص من العبودية والرق، فلم
يكن عنتره بن شداد ليحصل على حريته ويمنال شرف الانتساب إلى عبس، إلا
لأنه كان شاعراً وفارساً شجاعاً، وقد تغنى عنتره بشجاعته ومآثر قبيلته في
قصائد جمعت بين الروح الفردية والروح القبلية معاً، وصورت أهوال المعارك
وعنفوانها، يقول عنتره^(٣) (والضمير للحصان) :

مَا زِلْتُ أَرْمِيهِمْ بِشُغْرَةٍ نَحْرِهِ وَلِبَاسِهِ حَتَّى تَسْرِبَلَ بِالْدُمِّ

(١) اللسان : مادة (ص ع ل ك) - (٢) تاريخ الادب العربي، د. عمر فروخ، ١/ ١٠٣.

(٣) شرح ديوان عنتره بن شداد، تحقيق وشرح : عبد المنعم عبدالرؤف شلبي، دار الكتب
العلمية : بيروت، ط ١، ١٩٨٠، ص ١٥٣ : ١٥٤.

فَازُورٌ مَنْ وَقَعَ الْقَنَا بِلَبَانِهِ وَشَكَا إِلَى بَعْبُورَةٍ وَتَحَنَّنَحُمُ
لَوْ كَانَ يَدْرِي مَا الْمَحَاوِرُ اشْتَكَى وَلَكَانَ لَوْ عَلِمَ الْكَلَامَ مُكَلَّمَى
وَلَقَدْ شَفَى نَفْسِي وَابْرَأَ سُقْمَهَا قِيلُ الْفَوَارِسِ وَبِكَ عَنَتَرَ أَقْدِمُ

* الشعر والدعوة الإسلامية :

استمر التقليد العربي القديم في اعتبار الشاعر هو المتحدث باسم الجماعة - التي تحولت مع شروق شمس الإسلام إلى « الأمة » - فكان الشعر صوت الأمة، ونصير الدعوة الإسلامية، وكان حسان بن ثابت شاعر النبي ﷺ بمجد الإسلام ويعدد مآثر النبي الكريم ﷺ والمؤمنين بدعوته، ويرد على أعداء الإسلام من الكفار والمنافقين.

وكان النبي ﷺ يُدرك - بخبرة القائد السياسي المحنك - ما للشعر من أثر في نفوس الناس، ويظهر هذا في كثير من مواقفه، فحين أنشده النابغة الجعدي رائيته، ومنها قوله:

أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ إِذْ جَاءَ بِالْهُدَى وَيَتْلُو كِتَابًا كَالْجَهْرَةِ نَيْرًا
قال له النبي ﷺ : « لَا يَفْضُضُ اللَّهُ فَاك » (١). بل لقد تمثل النبي ﷺ بالشعر في كثير من المواقف، فحينما فرّ فرسان المسلمين يوم حُنين، وثبت النبي ﷺ في نفر من أصحابه، راح يدعوهم إلى القتال والثبات قائلاً (٢):
أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبُ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَلِّبِ

وبالمثل استخدم أعداء الإسلام الشعر وسيلة للنيل من الإسلام

(١) الشعر والشعراء ٢٨٩/١، الأغاني ٩/٥.

(٢) نهاية الأرب، للتوحيدي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، د. ت.

ورسوله ﷺ، فكانت سجاحُ المتنبيّة تُحمّس فرسانها على قتال المسلمين في
جروب الرّدة قائلة:

أحمل رأساً قد ملئتُ حملاً
وقد ملئتُ دهنه وغسلته
الا فتى بحمل عني ثقله؟!

ولم يتراجع دور الشعر في العصور التالية، بل ربما اشتد أثره وعظم،
لاسيما في وقت الازمات السياسية. فكان الشعر لسان حال الفرق الإسلامية
المختلفة، فللمعتزلة والشيعة والخوارج والعلويين وغيرهم من الفرق، شعراؤهم
وخطباؤهم.

وكان بلاط الخلفاء الأمويين والعباسيين يعبّج بالشعراء، الذين يُنَاط بهم
مهمة الدفاع عن الدولة والنظام السياسي، والرد على خصومها وأعدائها، كما
كان لهؤلاء الخصوم والأعداء شعراؤهم وخطباؤهم، الذين تزايدت أعدادهم،
وتعاظم تأثيرهم، فيما عُرِف بحركة الشعبية، وهي حركة مناهضة للعروبة،
يقول شاعرهم بشار بن بُرد مفتخراً بالفُرس هاجياً العرب^(١):

هَلْ مِنْ رَسُولٍ مُخْبِرٍ	عَنِّي جَمِيعَ الْعَرَبِ؟
مَنْ كَانَ حَبِيباً مِنْهُمْ	وَمَنْ ثَوَى فِي الثَّرْبِ
جَدَى الَّذِي أُنْسُو بِهِ	كِسْرَى، وَمَسَاسَانُ أَبِي
وَقَيْصَرٌ خَالِي إِذَا	عَدَدْتُ يَوْمًا نَسَبِي

فهنا يفخر بقومه من الفُرس، ثم يهجو العرب بكونهم أهل بدَاوة، وأنهم
قوم جِياع ينتبعون الضَّبَاب لياكلوها، ويقطعون الصحراء خلف إبل جرياء:

(١) ديوان بشار بن برد، تحقيق وشرح العلامة محمد الطاهر بن عاشور، نشر الشركة الوطنية
للمطبوعات والتوزيع: الجزائر، تونس، د.ت، ١/٣٨٩.

ولا حَدًّا قَطُّ أَبِي خَلْفَ بَعِيرٍ جَرِبِ

هكذا كان الشعر مرآة تعكس الأحداث والأفكار والاتجاهات السياسية على اختلافها، طوال التاريخ العربي، منذ المهلهل حتى «أمل دنقل» الذي خاطب السادات - بعد رحلته إلى القدس ومبادرته للسلام - قائلا^(١) :

لا تُصالحْ

ولو مَنَحوكَ الذَّهَبَ

أُتْرَى حِينَ أَفْقَا عَيْنِكَ،

ثُمَّ أَثْبِتْ جَوْهَرَتَيْنِ مَكَانَهُمَا

هَلْ تَرَى ؟

هِيَ أَشْيَاءُ لَا تُشْتَرَى

.....

لا تُصالحْ على الدَّمِ حَتَّى يَذُمَّا

لا تُصالحْ ولو قِيلَ رَأْسٌ بِرَأْسِا

أَكُلُ الرُّعُوسِ سِوَاهُ ؟

أَقْلِبُ الْغَرِيبِ كَقَلْبِ أَخِيكَ ؟

أَعِينَاهُ عَيْنَا أَخِيكَ ؟

وَهَلْ تَتَسَاوَى يَدُ سَيْفِهَا كَانْ لَكَ ؟

بِيَدِ سَيْفِهَا أَتُكَلِّكُ ؟

.....

لا تُصالحْ ولو تَوُجُّوكَ بِتَاجِ الْإِمَارَةِ

(١) أقوال جديدة عن حرب البسوس، من : الأعمال الشعرية لامل دنقل، القاهرة : مكتبة مدبولي، د.ت، ص ٢٩٤ : ٤٠٨.

كيف تخطو على جئة ابن أبيك ؟
وكيف تصيرُ المليك
على أوجه البهجة المستعارة ؟
كيف تنظرُ في يدِ مَنْ صافعوك
فلا تبصرُ الدَّم
في كُلِّ كَف ؟
إن سهماً اتانى من الخلف
سوف يجيئك من ألف خلف !

.....

لا تصالح !

لا تصالح !

ولعل من الممكن أن نقول : إنه لو أجريت دراسات ميدانية حول جماهيرية الشعر العربي، لوجدنا أن الشعر السياسي هو أكثر ألوان الشعر انتشاراً، وليس أدلُّ على ذلك مما تحظى به قصائد «نزار قباني» المغناة خاصة، في كل الأوساط.

● وسائل الخطاب السياسي :

(١) الإقناع وخطط المستقبل :

تقوم لغة السياسة على الإقناع من خلال إبراز الحجة بوضوح ودقة، والتدرج في الحوار تفادياً للاصطدام مع الآخر، ولذلك يكون التمهيد للحوار السياسي بقراءة جيدة للآخر، وتاريخه السياسي، ونمطه التفكيري، وربما ظروفه النفسية، وواقعه ومشاكله ... إلخ.

(٢) التبرير وجرائم الماضي :

وإن كان الإقناع أسلوباً خاصاً بخطط المستقبل وطموحاته، فإن لغة التبرير تختص - فى الأعم الأغلب - بما تم إنجازه من أحداث ومواقف فيها إساءة أو ضرر بالآخر.

وقد لجأت إسرائيل إلى هذه اللغة، حين بررت منعها الإعلام الدولى من دخول مدينة « جنين » الفلسطينية، بحجة الحرص على سلامتهم، فى حين تفسره المؤسسات الصحفية على مستوى العالم بأنه اعتداء على حرية الصحافة.

(٣) التهديد وسياسة الإكراه :

لأن السياسة تقوم على المصالح، وترتكز على معيار القوة دون معيار القيم والأخلاق؛ فقد تلجأ لغة السياسة إلى التهديد والتحذير لإرغام الآخر على الانصياع، وعدم التمرد أو الصمود، وذلك حين تلوح بأسلحة الدمار والخيار النووى الذى تهدد به إسرائيل لغرض الأمن، والحصار الاقتصادى الذى تفرضه أمريكا على ليبيا والعراق، أو بالتخلى عن الآخر فى مشروع قومى ما، أو بإثارة الفتن فى مجتمعه الداخلى، مثل جنوب السودان، وإثارة أمريكا للجنوب تحت دعوى حق تقرير المصير.

(٤) الإثارة :

وذلك بإثارة المشاعر الملتهبة تجاه قضية ما، وتوظيف هذه القضية فى خدمة طرف معين، مثل إعلان صدام حسين الجهاد إثارة للمشاعر العربية فى حرب الخليج، وإبراز وجوه المنفعة، والبيانات التى تصدر بين الحين والآخر عن أسامة بن لادن، زاعمة أن تنظيم القاعدة يهدف إلى تحرير المقدسات.

(٥) التلويح بالمنافع والأهداف المرتقبة لدى الآخر كورقة ضغط :

مثل إعلان بوش دعم قيام الدولة الفلسطينية عند بداية حربه ضد أفغانستان والمسلمين .

(٦) المداينة والمهادنة :

تلجأ السياسة إلى المداينة والمهادنة في حالة الضعف والعجز عن المواجهة، مثل موقف الدول العربية تجاه أمريكا وإسرائيل، حيث تشيع في البيانات العربية الكلمات التالية : استنكار، شجب، خيار السلام، رفض ... إلخ، مع وصف العدو بالأعمال العدوانية، العدوان الفاشم ... إلخ .

(٧) التضييل للآخر :

وذلك بوضع أسماء برّاقة للأعمال المفرعة، مثل إعلان أمريكا: الحرب ضد الإرهاب، للتعبير عن حربه ضد المسلمين، ومن أجل المصالح، وإعلانها عن دول محور الشر : (العراق وإيران وكوريا) .

(٨) تزيف الحقائق :

تلجأ لغة السياسة إلى تزيف الحقائق، من خلال ادعاءات وافتراءات تُصنَّعُ من ابواق الإعلام العالمي . وقد بلغت إسرائيل القمة في تزيف الحقائق من خلال ادعاءاتها المتكررة بأنهم أصحاب الحق في أرض فلسطين، وأن فلسطين ليست للعرب أصلاً، وادعائهم بأن حائط البراق هو حائط المبكى، وبأن الهيكل يقع تحت المسجد الأقصى، وبأن اللغة العبرية هي أصل اللغات السامية، وهي أصل العربية، وادعائهم أن الأهرامات الثلاثة من إنجاز أيديهم، وأنهم هم صنّاع هذه الحضارة .. وهلمَّ جراً .

(٩) التحريض :

يلجأ الخطاب السياسى إلى لغة التحريض، وهى لغة استفزازية تعتمد على الشائعات والباطل، والمبالغة والتهويل، وإثارة الرموز المهمة، وذلك على نحو ما تصنع إسرائيل فى تحريضها الدائم لأمريكا والمجتمع الدولى ضد المسلمين، من خلال افتراء الاتهامات المثيرة والصاقها بنا، مثل : الإرهاب، التطرف، الفساد، العدا، والكراهية لليهود « معاداة السامية » ... إلخ، وبخاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر، ويتم هذا من خلال إعلام ذكى على مستوى العالم.

كيف تُصنع الشعارات ؟

الشعار فيه تكثيف وتركيز شديد لدلالات مقصودة، لذلك فإن الشعار يتطلب جملاً قصيرة أو كلمات مختصرة.

فقد يكون الشعار كلمة واحدة، مثل: الحرية أو الديمقراطية، العلم... إلخ، وقد يكون جملة قصيرة، ويتجنب الشعار الجمل الطويلة، أو تعدد الجمل.

كما يتطلب الشعار الوضوح والبعد عن الغموض كى يضمن وصول معناه إلى جميع مستويات الجمهور، وأيضاً ليسهل التعرف عليه.

كما يتطلب الشعار الارتباط والتعبير عن معنى قيم محمود، يتناسب مع موضوعه.

تتركز الشعارات فى الخطاب السياسى حول قضية مهمة من قضايا الوطن، أو حول هدف قومى ... إلخ.

وتتشكل البنية اللغوية للشعار من خلال انتقاء رمز من الرموز اللغوية المناسبة لمضمون الشعار مع الحرص على الوضوح، وقصر الجملة أو العبارة، أو

الاقتصار على كلمة واحدة إن أمكن، وتجنب الكلمات الغامضة أو الغريبة أو ثقيلة النطق، ومن أمثلة الشعارات الناجحة :

* الحرية .

* الحرب ضد الإرهاب .

* الأمن الإسرائيلي .

* العدالة المطلقة .

اللغة والخروج من سجن الاستبداد السياسي

في حالة الاستبداد السياسي وديكتاتورية السلطة، يلجأ الناس في التعبير اللغوي إلى الرمزية والهماز للتعبير عن همومهم وآلامهم في واقعهم المر ، وذلك حين يعجزون عن التعبير المباشر عن هذه الآلام بسبب الطغيان السياسي، وتأخذ اللغة أنماطاً متباينة للخروج من سجن الاستبداد، ومازق الطغيان السياسي، من أهم هذه الأنماط : النكتة، القصص، فن « الكاريكاتير » . وفيما يلي شيء من التوضيح لكل نمط من هذه الأنماط :

(١) النكتة :

من وسائل التعبير السياسي غير المباشر : النكتة السياسية، التي قد تبدو في ظاهرها دعابة لطيفة لا تجلب على قائلها، ولا على سامعيها مسخط الحاكم، أو آذان رقبائه وجواسيسه .

وتشيع النكتة السياسية بوجه خاص في عهود الديكتاتورية؛ ذلك أن الديكتاتور لا يقبل نقداً، وقد يتعرض من يتقده للبطش والتنكيل .

ولما كان الإنسان «حيواناً سياسياً» لا يحيا بغير السياسة، لم يكن له بُدٌّ من التنفيس عما يجيش بصدره من هموم سياسية، ومعاناة، عبْرَ أشكال أدبية وفنية تخفى أهدافه السياسية وراء حيل بلاغية، أو أسلوبية مختلفة.

والنكتة بأسلوبها الضاحك وسياقاتها الاجتماعية تغرى السامعين بالضحك، وتلفتهم - فى الوقت نفسه - إلى مساوئ الحكم وسلبات الحكم، بل ربما كان الحكم أنفسهم من المولعين بسماع النكات التى تعرض بهم وتذكر مثالبهم وطغيانهم.

ولا تزال النكتة من أقوى الوسائل فى نقد السلطة، خاصة عند المصريين المعروفين بالسخرية والتهكم وروح الدعابة. من ذلك ما يروى عن موجة النكات السياسية التى أعقبت هزيمة يونيو ١٩٦٧، تهكماً على النظام العسكرى الذى قبض على السلطة بيد من حديد، حتى انتهى إلى تدمير البلاد فى هزيمة عسكرية ساحقة، إلى حد أن الرئيس جمال عبد الناصر دعا - فى إحدى خطبه - إلى الكفِّ عن تمريح رجال الجيش.

من هذه النكت التى تنتهكم على العسكر: «العسكرى المصرى تحطه على الرمل يجرى»، «صفارة تجمعهم وعصاية تجربهم». للتعبير عن الخنوع والجن عند المحكومين، والصرامة والطغيان عند الحكام.

كان الرئيس عبد الناصر شخصية مهيبة - أو كارزما كما يقال - فلا يستطيع أحد أن يخاطبه مباشرة، لدرجة أن نائبه أنور السادات عندما سأله عبد الناصر عن الاغنية التى ستغنيها أم كلثوم الليلة، قال السادات:

سيادتك عمرى يا فتندم !

من ناحية البناء اللغوى: تتميز النكتة بقصر العبارة، فهى مصوغة على

طريقة الامثال، فى عبارة موجزة؛ لتحقيق هدفها سريعاً. كما تتميز بالمفاجأة أو المفارقة، حيث تنتهى - غالباً - بعنصر مفاجئ لا تدل عليه مقدماتها، وهو ما يولد التعجب والضحك، ويلفت العقل إلى مضمونها الساخر.

(٢) القصص السياسى :

فى فن القص يتفّح الخطاب السياسى وراء اقنعة متعددة، أهمها : الرمز. والرمز يتخذ صوراً مختلفة، لعل من أقدمها حكايات الحيوان، ومن أشهر الكتب التى اتخذت من حكايات الحيوانات رموزاً لأفكارها السياسية : « كليله ودمنه »، وهو كتاب هندى فى أصله، تُرجم إلى الفارسية، فنقله ابن المقفع إلى العربية، وزاد فيه بما يناسب حال واقعه السياسى، وكان إقبال ابن المقفع على ترجمة كتاب « كليله ودمنه » نوعاً من الحيلة كى يستطيع أن يعبر فيه عن رأيه فى شؤون الدولة، فقد كان يأمل من الحيلة كى يستطيع أن يعبر فيه عن رأيه فى شؤون الدولة، فقد كان يأمل من ورائها رفع الظلم وإشاعة العدل، فخطب الخليفة على لسان الحيوان والطير، ولفت انتباه الرعية إلى الظلم الواقع فى المجتمع، كما شجعهم على مطالبة السلطان بتحقيق العدالة، ولعل هذا النقد السياسى للخليفة حتى ولو كان متقنعاً متخفياً على السنة الحيوانات والطيور، هو الذى جعل أبا جعفر المنصور يوافق والى البصرة على قتل ابن المقفع للخلاص منه بأسلوبه النصفية الجسدية الشائع فى واقع السياسة المعاصرة.

(٣) الكاريكاتير :

كلمة (كاريكاتير Caricature) كلمة فرنسية تعنى : الفن الهزلى، والكاريكاتير شكل من أشكال التعبير السياسى، يمزج بين الصورة والكلمة فى تجسيد سريع وموجز للقضية التى يتعرض لها.

لقد جاء الكاريكاتير استجابة لمقتضيات العصر، وما تملبه من سرعة وصول المعلومة، وضمان الفاعلية والتأثير الفورى فى الجماهير، وذلك فى بريقة

موجزة تخلص إلى لب القضية السياسية التي تعالجها بأسلوب تهكمى ساخر. يهدف إلى إبراز جانب بعينه أو عدة جوانب من موضوعه، لهذا فهو يميل إلى التشويه في الصورة، بالتركيز عن طريق المبالغة على ملمح ما أو عدة ملامح فيها، كما يميل إلى التعليقات القصيرة اللاذعة.

يرتبط فن الكاريكاتير - بطبيعة الحال - بالصحافة، وكثيراً ما يوضع في ثنايا الموضوعات الصحفية المختلفة تلخيصاً لها وإبرازاً للمحور الاساسى. والكاريكاتير بما يحمله من روح ساخرة، يتيح للفنان التعبير عن آرائه الساسية، وتناول رموز المجتمع بالنقد، بصورة لا يمكن قبولها إذا جاءت في لغة مباشرة، كما في المقال والتحليل السياسى، ونحوه.

ومن أشهر فناني الكاريكاتير العرب : الفنان الفلسطيني ناجى العلى، الذى اغتالته عناصر من الموساد الإسرائيلى، لخطورة فنه على الكيان الصهيونى، وفضحه لممارساته العدوانية، كما كان « ناجى العلى » من المغضوب عليهم لدى حكومات عربية كان يوجه إليها نقده العنيف.

ومن أشهر الشخصيات التى ابتكرها خيال ناجى العلى : شخصية تُدعى « حنظلة »، ويرسمه دائماً من ظهره، قصيراً، عاقداً يديه خلف ظهره، ذاهلاً، كأنما يولى ظهره للعالم ولا ينشغل به، أو هو عاجز عن الفعل، فى استعارة تشكيلية تشير إلى الاستعارة اللغوية فى تعبير : مغلول اليدين.

ومن رسامى الكاريكاتير السياسى : زهدى، وصلاح جاهين، ومصطفى حسين. الذى كوّن مع أحمد رجب - على مدى أكثر من عشرين عاماً - ثنائياً فنياً وسياسياً، مصطفى حسين يرسم الصورة وأحمد رجب يُعلّق عليها بالفاظه الساخرة. ومن أشهر الشخصيات التى أبدعها هذا الثنائى :

شخصية فلاح كفر الهنادوة : وهو نموذج للشخصية المصرية المقهورة، ويرسم مرتدياً الزى الريفى المصرى المعروف، منحنيّاً بجسمه أمام رئيس الوزراء

حاملاً مطالب الشعب وآراءه فى سياسة الحكومة.

شخصية عبد الروتين : وهو رمز للموظف الذى يتمسك بالروتين الحكومى، ويعطل مصالح الناس بسبب جموده وقلة وعيه وعدم مرونته.

شخصية كمبورة: وهو شخصية متعددة الأدوار، يدعى الفهم فى كل شىء، مع أنه رمز للتخلف ومثال للسطحية والبعد عن الفهم والحضارة.

شخصية الكحيت : (يرمز به للمواطن الفقير الذى تحاصره الهموم وتطحنه الأزمات غير أنه لا يعى ما هو فيه من تردٍ وبؤس، وكثيراً ما يترك قضاياها هذه، ويتحدث عن أمور لا تهمه ولا تؤثر فى حياته، مثل آخر الصيحات والموضات وقصة شعر الأميرة ديانا ... إلخ، وهو رمز لغياب الوعي السياسى على المستوى الشعبى.

● الملامح اللغوية للخطاب السياسى:

أ - على المستوى الصوتى:

تنأى لغة الخطاب السياسى عن الاصوات المتنافرة أو الثقيلة الصعبة، وتميل إلى انتقاء الاصوات السهلة المتكلفة، لأن السهولة والوضوح من أهم ملامح لغة الخطاب السياسى، كذلك نجد الاستعانة بالمؤثرات الصوتية كالنبر والتنغيم لإبراز الرموز الصوتية المعبرة عنها.

فمثلاً فى جملة : الحرب ضد الإرهاب. إبراز كلمة الإرهاب كرمز لغوى يعبر عن خطورة الإرهاب.

وفى جملة : حماية الأمن الإسرائيلى، إبراز كلمة «الأمن» فى الجملة كرمز لغوى يعبر عن أهمية الأمن للمجتمع، واشتداد حاجته إليه.

وعلى مستوى الشعارات والتهافتات؛ يلجأ الخطاب السياسى إلى التنغيم والسجع والجناس والطباق، ويمكن ملاحظة ذلك فى التهافتات التالية :

* لا إله إلا الله ... اليهود أعداء الله.

* الأرض دى أرضنا ... والحق حق ربنا .

* خير خير يا يهود ... جيش محمد سوف يعود .

* القدس الحزين يسأل ... أين صلاح الدين ؟!

* يا فلسطينى يا فلسطينى ... دمك دمي دينك ديني

* هذا الأقصى قد نادانا ... من سيعيد القدس سوانا

ب - على المستوى الصرفى :

يصطفى الخطاب السياسى الكلمات القصيرة الواضحة السهلة التى تخلو من التنافر .

أيضاً يحرص الخطاب السياسى على استعمال الكلمات الشائعة المعروفة لدى الجماهير كى يتحقق بها التواصل، مع تجنب الكلمات الغريبة غير المألوفة، أو التى بهما ثقل فى النطق، مثل : الحرية - الأمن - العدالة فى الجانب الإيجابى، ومثل : الإرهاب .. التطرف .. فى الجانب السلبى .

ج - على مستوى التركيب :

يميل الخطاب السياسى إلى استخدام الجمل القصيرة المعبرة بوضوح، بعيداً عن اللبس أو الغموض أو التعقيد، وذلك لأن الجمل القصيرة تأخذ جهداً أقل من المستمع، على عكس الجمل الطويلة، ولكن الإفراط فى استخدام الجمل القصيرة قد يؤدى إلى نتيجة عكسية .

أيضاً تكثر لغة الخطاب السياسى من الجمل الاسمية التى تبدأ بالأسماء والمصادر . مع توظيف لادوات النفى فى تقابل بين النفى والإثبات لإظهار الدلالة المقصودة .

د - التكرار فى لغة الخطاب السياسى :

كثيراً ما يلجأ الخطاب السياسى إلى التكرار، ويُعد التكرار من الوسائل

الفعالة فى التأثير على وعى الجماهير، لكنه يتطلب مهارة فى تنفيذه .
فمثلاً يمكن أن يكون التكرار لكلمة أو جملة تمثل منطقة قوة فى
الخطاب، على نحو قولنا :

المرشح الناجح هو الذى يسعى من أجل خدمة دائرته .

المرشح الناجح هو الذى ...

المرشح الناجح هو الذى

ويمكن التكرار على الوجه التالى :

فى عالم ما بعد ١١ سبتمبر اضطربت الموازين ..

فى عالم ما بعد ١١ سبتمبر نجد ...

فى عالم ما بعد ١١ سبتمبر

لقد أصبح تكرار الجملة الاولى فى الشاهدین السابقين مهمة عند السامع،
وهى ربط المعانى المتباينة بهذا الحدث الذى ترمز إليه هذه الجملة .

ومن أشكال التكرار هتافات الطلبة أثناء المظاهرات ضد صلف إسرائيل
وطغيان أمريكا :

قادم قادم يا إسلام .. حاكم حاكم يا قرآن

● التضاد فى لغة الخطاب السياسى :

تلجأ لغة الخطاب السياسى إلى التضاد لإظهار المعنى وإبرازه من خلال
المقارنة التى يحدثها التضاد فى ذهن المستمع، فمثلاً نقول :

قبل عام وعد المرشح بـ

وبعد عام أنجز المرشح ما وعد به ...

فى الماضى كانت الجماهير

فى الحاضر فإن الجماهير

السامية
بين الحقيقة العلمية
وادعاءات اليهود

مصطلح «السامية» لغوياً :

يطلق مصطلح السامية لغوياً على مجموعة لغات تكوّن فرعاً لغوياً ضمن خمسة أفرع تكوّن في مجموعها أسرة لغوية كبيرة هي : أسرة اللغات الأفروآسيوية، والمنطقة الجغرافية لهذه الأسرة شمال أفريقيا وشرقها، وفي جنوب غرب آسيا، وتحتوي هذه الأسرة على أكثر من ٢٠٠ لغة ولهجة.

أطلق مصطلح السامية في نهاية القرن الثامن عشر لدى العلماء الأوربيين، وكان أول من استعمله العالم الألماني سلوتزر وزميله أيكهورن، وسبب هذه التسمية أن الشعوب التي تتكلم اللغات السامية هي - في الأعم الأغلب - ضمن ذرية سام بن نوح (وهو في العبرية شام Sham) كما جاء في الفصل العاشر من سفر التكوين.

وتنقسم اللغات السامية إلى ثلاثة أقسام :

- ١ - القسم الشرقي، ويضم : البابلية، والآشورية، والكلدانية.
- ٢ - القسم الغربي، ويضم : الكنعانية، والفينيقية، والآرامية، والعبرية، والسريانية، والنبطية، والتدمرية.
- ٣ - القسم الجنوبي، ويضم : العربية، والحبشية.

وكما يطلق مصطلح «السامية» على مجموعة اللغات التي تنتمي إلى الفرع السامي من فروع أسرة اللغات الأفروآسيوية، فإنه كذلك يطلق على مجموعة الشعوب التي تتحدث هذه اللغات، والشعب السامي الذي سكن فلسطين هم الكنعانيون، ويعود نسبهم إلى جدهم الأول كنعان.

وهناك شبه إجماع بين العلماء على أن المنطقة الجنوبية من الجزيرة العربية

- ومن ضمنها اليمن - هي الموطن الاصلى لتلك الشعوب السامية - المنحدرة من سام بن نوح (عليه السلام) - التى نزحت من جزيرة العرب فى أعقاب حالة الجفاف التى حلت بها بعد الدورة الجليدية الرابعة، وقد اتجهت هذه القبائل إلى شمال الجزيرة العربية، ومنها توزعت شمالاً وشرقاً وغرباً^(١).

من الحقيقة التاريخية السابقة يكون الساميون العرب أساس تلك الشعوب والأمم التى شكلت تاريخ تلك المنطقة من أرض الرافدين وسورية ولبنان وفلسطين.

ومع أنه ليس بالإمكان تحديد بدايات هذه الهجرات السامية من الجنوب إلى الشمال، فإن هناك من يقدر وقوع هجرة الساميين الذين استقروا فى بلاد سوريا وفلسطين باسم الكنعانيين قبل ٢٥٠٠ ق.م^(٢).

والكنعانيون من أهم الشعوب التى نشأت وعاشت فى المنطقة السورية قديماً، وهم يُكوّنون سكان فلسطين ومنطقة الساحل الفينيقي والأجزاء الساحلية الشمالية فى نهاية الألف الثانية ق.م، ويجمع اسم الكنعانيين عناصر متعددة منها : الاموريون والمؤابيون والعمونيون والأدوميون والعبريون، الأمر الذى يشير إلى وجود «عوامل ربط» بين هذه الشعوب، أبرزها البيئة الجغرافية الواحدة، والأصول التاريخية المشتركة، والعادات والتقاليد المتشابهة، بالإضافة إلى الأصول اللغوية المتقاربة^(٣).

(١) أحمد سوسة، حضارة وادى الرافدين بين الساميين والسومريين، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية، سلسلة دراسات (٢١٤) دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠، ص: ٦٥.

(٢) إسرائيل ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، القاهرة: ١٩٢٩، ص ٥٤.

(٣) محمد خليفة حسن، رؤية عربية فى تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته، القاهرة، ١٩٩٥، ص: ١٩٦.

ويرى الأب دوفو أن بداية العصر البرونزي القديم (٣١٠٠ ق.م) هي الزمن الذي استقر فيه الساميون لأول مرة في فلسطين، وقد أطلق عليهم «الكنعانيون» تبعاً للكتاب المقدس، الذي يخلع هذا الاسم على السكان الساميين في فلسطين قبل وصول الإسرائيليين^(١).

ويرى الفرنسي «إدواردو» أن «عبري» مشتقة من فعل شائع في كل اللغات السامية، ومنها العبرية والعربية، هو الفعل «عَبَرَ» بمعنى تخطى واجتاز. والعِبْرُ بكسر العين وسكون الباء معناه : الجهة الأخرى من الوادي أو من الجدول الصغير أو النهر، وكانت تسمية «عبري» تطلق في حينها على كل من يهاجر من العراق عبراً نهر الفرات إلى الشام، وكان اليهود الأوّل كذلك^(٢).

وجاء في سفر يشوع (٢٤ / ٢ - ٣) :

«هكذا قال الرب إله إسرائيل : إن آباءكم سكنوا في عبر النهر منذ الأزل، تارح أبو إبراهيم وأبو ناحور، وعبدوا آلهة أخرى، فاخذت إبراهيم أباهم من عبر النهر، وسرت به في كل أرض كنعان، واکثرت نسله وأعطيته إسحق».

ونستنتج من هذا النص الموافق للدلالة اللغوية لكلمة «عبر» في اللغات السامية أنه لم يكن للعبرانيين الإسرائيليين وجود، لا في أورشليم ولا في غيرها مما حولها من مدن في القرن ١٤ ق.م، وهذا على عكس ادعاءات اليهود ومحاولتهم عبْرنة كل شيء في القدس وعبْرنة تاريخها بكل أحداثه.

ولقوة الكنعانيين لم يستطع العبرانيون الاستقرار في القدس وما حولها من مدن وسهول غنية، ولم يكن لهم وجود إلا على التلال وأطراف البلاد والأماكن الفقيرة، حتى جاء منتصف القرن السابع عشر ق.م، وهاجر يعقوب - إسرائيل

(١) روجيه جارودي، فلسطين أرض الرسالات، ترجمة وتعليق عبد الصبور شاهين، القاهرة : دار التراث، د.ت، ص ٧٤.

(٢) الصهيونية العالمية وإسرائيل، د. حسن ظاظا، ص ١٦، ١٧.

- وبنوه إلى مصر فراراً من القحط في المناطق التي كانوا يقيمون بها.

حتى جاء يشوع بن نون وقادهم إلى نهر الأردن واستولوا على بعض أرض الكنعانيين، وفي فجر الالف الاولى ق.م وَحَدَّ سِيدْنَا دَاوُدَ - عليه السلام - قبائل إسرائيل الاثنتي عشرة، وأسس مملكة إسرائيل^(١).

بلغت المملكة اليهودية قِمَّتَهَا حين فتح داود - عليه السلام - القدس، وجعل جبل صهيون مقراً للحكم، وتولى من بعده ابنه نبي الله سليمان - عليه السلام - سنة ٩٧٠ ق.م، وطال حكمه أربعين سنة، وبعد سيدنا سليمان - عليه السلام - انحرف بنو إسرائيل، وطفوا وأفسدوا، فقتلوا أنبياءهم وارتكبوا الفواحش^(٢).

(١) تولى داود (عليه السلام) الحكم بعد قتله شاول أو شاول (في القرآن الكريم:

طالوت) وهو أحد ملوك اليهود وقد عاصر النبي داود (عليه السلام)، ورد ذكره في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمَ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةُ كَثِيرَةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ البقرة/ ٢٤٩، أما جالوت أو جاليات فهو أحد حكام فلسطين من الجبابرة، وقد بارزه النبي داود وقتله بحجر من مقلاعه، وقد ورد ذكر ذلك في قوله تعالى ﴿ رَمَاهُ رَمًى بَرَزُوا لِيَجَافُوا وَجُنُودَهُ قَالُوا مَتَى أَفْرَغَ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أَفْدَامُنَا وَانْصَرَفْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ فهُزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُرُّ فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ البقرة/ ٢٥٠، ٢٥١.

(٢) وفيهم أنزل الله قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَزْمِنُ بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا رَيْكُفُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ قَبْلِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ البقرة/ ٩١.

التوظيف السياسى لمصطلح «السامية» :

يُضخُّ الإعلام الصهيونى موجات متلاحقة على مستوى العالم وبخاصة فى الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوروبية، حول قضية «معاداة السامية»، وتوجه المنظمات الصهيونية الاتهامات إلى الأفراد (على نحو ما حدث مع الأستاذ إبراهيم نافع رئيس جريدة الأهرام عام ٢٠٠٢م) أو إلى المؤسسات المختلفة (على نحو ما حدث مع مسلسل «فارس بلا جواد» فى التليفزيون المصرى)، أو إلى الدول والشعوب (على نحو اتهامهم المسلمين والعرب بمعاداة السامية).

وما من شك فى أن المنظمات الصهيونية تجيد الاصطياد فى الماء العكر، فقد وجدوا الفرصة مواتية بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر، للاستفادة بموجة العداء العالمى ضد المسلمين والعرب، لدرجة أنهم يعدون كل نقد للصهيونية أو لليهود وإسرائيل لونا من معاداة السامية حتى إن بعض الكُتَّاب الإسرائيليين (إلياهو سلفتر) كتب ينقد هذه المغالاة ويحذر من أثرها السلبى على اليهود فى العالم، وذلك تحت عنوان : «ليس كل نقد مسعادة للسامية»^(١).

والقصد من هذه الموجة التى تنيرها المنظمات الصهيونية تحت دعوى «معاداة السامية» هو إحداث لون من الإرهاب بتهمة «معاداة السامية»، وبالتالي يتولد الحذر لدى الكُتَّاب والمفكرين والهيئات والدول من تناول الصهيونية بأى نقد أو تجريح حتى ولو كان حقاً، وتصبح قضايا إسرائيل

(١) راجع المقال بجريدة : هاآرتس فى ١٠/٤/٢٠٠٢ عن مجلة: مختارات إسرائيلية، العدد ٨٩ لسنة ٢٠٠٢، ص ٤٠.

والصهيونية من قبيل الأمور المحظورة، التي نطلق عليها التعبير الشائع المعروف :
«محظور الاقتراب منها».

لقد بدأ عمل المنظمات الصهيونية في قضية معاداة السامية في أوروبا،
وحققت نجاحاً كبيراً في مواجهة ما تراه معادياً للسامية ، والآن بعد تشكيل
منظمة باسم : معهد أبحاث إعلام الشرق الأوسط Middle East Media
Research Institute، ومقرها في واشنطن ولها فروع في القدس ولندن
وباريس وبرلين، وانضمت لها منظمة أخرى قديمة لها خبرة العمل هي :
«عصبة مكافحة التشهير» Anti - Defamation League .

واستجذبت المنظمة محوراً جديداً ضمن أنشطتها لمواجهة ما تراه معادياً
للسامية في الإعلام العربي، وبخاصة في مصر والسعودية، كما أضافت هذه
المنظمات إلى مواجهة^(١) ما تراه معادياً للسامية أمراً آخر نال اهتماماً بارزاً بعد
أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وهو تبرير السياسات العدوانية لإسرائيل.

وهكذا اختزلت إسرائيل مصطلح السامية وجعلته مرادفاً لليهودية،
فالسامية هي اليهودية.

(١) راجع بتوسع : مختارات إسرائيلية، العدد ٩٦، ديسمبر ٢٠٠٢م، التوظيف السياسي
لمعاداة السامية، د. عماد جاد، ص ٢.

حرب الكلمات

هذه ترجمة للفصل الأول من كتاب :

WAR OF WORDS

Language, Politics and 9/11

By

SANDRA SILBERSTEIN

First published U.S.A, New Yourk 2002

مقدمة المترجم

الحدث فى عيونهم

تعددت وجهات النظر الأمريكية حول أحداث سبتمبر، مثلما يحدث مع كل حدث فى أمريكا. أمريكا التى قامت على التعددية بكل معانيها : العرقية، والقومية، والسياسية، والدينية، والثقافية ... إلخ.

وبين أهدينا إحدى زوايا النظر إلى ذلك الحدث الرهيب، وهى زاوية أغفلت فى تحليلاتنا وتصوراتنا للحدث وتداعياته، إنها زاوية الخطاب اللغوى.

تنقل المؤلفة «ساندرا» هذا الاقتباس عن «رودريك هارت»:

«إن الرئيس هو المتحدث الأول». وذلك فى ظل العصر الإعلامى الذى غير وظيفة الرئيس، وجعل قوته مركزة - أساساً - فى قدرته على الحديث وإقناع الجماهير.

وتلفتنا المؤلفة إلى الحيل البلاغية المختلفة، لإضفاء القوة والمصدقية على كلام الرئيس، مقارنة بين أسلوب كل من : فرانكلين روزفلت الذى قاد أمريكا خلال الحرب العالمية الثانية، و «جورج بوش» الرئيس الأمريكى الحالى الذى واجه أحداث «الثلاثاء الأسود».

ويلتفت «تشومسكى»^(١) إلى زاوية أخرى فى الخطاب السياسى

(١) راجع بتفصيل: ١١ سبتمبر، نعوم تشومسكى، إعداد وترجمة: إلهام العيداروس وآخرين، القاهرة: ميريت للنشر والمعلومات، ٢٠٠٢.

الأمريكي، فيورد تناقضاته، ويهاجم - بعنف - ما فى هذا الخطاب من تشنُّج، وقطعية محتجاً على ما أسمته آلة الدعاية الأمريكية: «إعادة بناء وحدة الأمة، فيقوم - ومعه مئات من مثقفى أمريكا وأوروبا - بإصدار البيان الشهير الذى عرف به «بيان الضمير الأمريكى».

وإذا كانت هذه الأصوات العاقلة العادلة قد توارت خلف ضجيج آلة الإعلام وطبول الحرب الأمريكية؛ فإنها لن تنوارى إلى الأبد، وستظل ناقوساً ينبه إلى خطر الدعاية الجوفاء وازدواجية الخطاب السياسى الذى يقول شيئاً ويخفى أشياء.

واليك ترجمة الفصل الاول من كتاب :

حرب الكلمات

السياسة واللغة و ١١ سبتمبر

الحرب ضد الإرهاب

تكمن قوة الرئيس فى قدرته على إقناع الجماهير

العالم السياسى « Richard Neustandt »

فى الساعة الثامنة وخمس وأربعين دقيقة من صباح يوم الحادى عشر من سبتمبر لعام ألفين وواحد، اصطدمت إحدى الطائرات التابعة للخطوط الأمريكية بالبرج الشمالى من مركز التجارة العالمى، ثم تبع ذلك الاصطدام اصطدام آخر لطائرة أخرى بالبرج الجنوبى من المركز، وقد كان من الواضح أن الإعلام لم يكن يُغطى تلك الحادثة. لقد ثبت ذلك ساعة أن اصطدمت طائرة ثالثة بمبنى البنتاجون (مقر وزارة الدفاع الأمريكية) وتحطمت أخرى جنوب بيتسبرج.

صرخت العناوين الرئيسية لقناة الـ «سى إن إن» الإخبارية مُعلنة أن «الولايات المتحدة قد تعرضت للهجوم». ومنذ ذلك الحين ظلت الـ «سى إن إن» لا يام عديدة تُعلن «أن هناك هجوماً قد شُنَّ على الولايات المتحدة»، ولكن سرعان ما اعتبر هذا الهجوم عملاً حربيًا، إنه «بيرل هاربر» هذا الجبل.

لا يهدف هذا الفصل أو هذا الكتاب إلى التحدث بشأن صحة هذا التحليل أو شرعيته. (لقد استحال على أبناء عمومتى – والمؤرخين الأكاديميين فى جنوب مانهاتن – ألا يشعروا بأنهم يعيشون حالة حرب، ويشهدون جرائم حربية ترتكب ضد المدنيين الأبرياء).

إن غاية هذه المناقشة هى أن نذكر بالتفصيل كيف تم تهديد الطريق لبناء دولة ما

تواجه حرباً، من خلال نشر اللغة بشكل استراتيجي .

اعتقد أن لاستخدام اللغة أثراً عديدة؛ فإنها تخلق أو تُعيد خلق عوالم خاصة من الفهم والإدراك، لذلك ساستخدم بين الحين والآخر الجمل الاعترافية (أى جملاً معترضة وتوضع بين فاصلتين أو قوسين) حينما أتحدث عن (إعادة) خلق أو تكوين أمة مُتحدة مثلاً .

عند فحص اللغة الخطابية الرئاسية في أعقاب الحادى عشر من سبتمبر، سترى أن هناك حديثاً بشأن هجوم إرهابى يستحق ردّاً عسكرياً أمريكياً صارماً، وأيضاً تكوين ائتلاف جديد من دول الحلفاء .

يطرح هذا الفصل تساؤلاً مهماً الا وهو : كيف أصبح الرد على الإرهاب حرباً ضد الإرهاب ؟ لننتحدث قليلاً عن الإرهاب .

لسوء الحظ، يعتقد الاشخاص الذين يعيشون فى العصر الإلكتروني أن الإرهاب عمل يُصنع من أجل التلفزيون، يشير « Walter Laqueur » - وهو أخصائى فى علم الإرهاب - إلى أن :

« نجاح العملية الإرهابية برمتها يعتمد على مقدار الدعاية التى تلقاها هذه العملية، يُعدّ هذا من الأسباب الرئيسية التى أدت إلى الانتقال من حرب العصابات فى القرى إلى القيام بعمليات إرهابية فى المدن فى الستينات من القرن العشرين؛ وذلك لأن الإرهابى فى المدن دائماً ما يمكنه الاعتماد على وجود رجال الصحافة وكاميرات التلفزيون، وبالتالي قطاع جماهيرى عريض » .

يتغذى الإرهاب على وسائل الإعلام، حيث إن هناك علاقة متبادلة تربط بينهما، يُشير الدبلوماسى السابق « دافيد لونغ » إلى أن كلاً من مهمة الإعلام - التى تتمثل فى التغطية الإخبارية للأحداث - وقدرة الإرهابى على خلق أو تشكيل الاخبار، قد أدى إلى وجود علاقة تكافلية بين الاثنين، إنها علاقة لا

ينقل الإعلام من خلالها الأخبار فحسب، ولكنها تساعد الإرهابي أيضاً على خلقها، «لا تنجح الأحداث الإرهابية العنيفة إلا إذا قُدمت في صورة أحداث مسرحية (متكلفة) مُخططة لها بعناية».

تُعد الهجمات الإرهابية تحدياً خاصاً للحكومة، التي يجب عليها أن تخلق الانطباع بأنها قادرة على احتواء ذلك العنف ومنعه، بل وحماية مواطنيها، يجب عليها أيضاً أن تحدث توازناً بين ظهورها بمظهر الحكومة غير المؤثرة وبين انتهاكها للحريات المدنية، إنها في حاجة إلى أن تتأكد وتطمئن إلى أن الإرهابيين لا يسيطرون على الأخبار، يؤدي ذلك إلى خلق نوع من السلطة الرئاسية تعتمد على الإظهار الإعلامي لقدرتها الخاصة على الإقناع (القوة).

لهذا، غيّر العصر الإعلامي شكل وظيفة الرئيس في الولايات المتحدة، يصف «روديريك هارت» ذلك الدور الحديث الذي يمثلته الرئيس قائلًا: «إن الرئيس هو المتحدث الأول». يُعلن «هارت» أن الرؤساء نادراً ما كانوا يتحدثون، ولكن فيما بين عامي ١٩٤٥ و ١٩٧٥ ازداد عدد الخطب المهمة التي ألقاها رؤساء الولايات المتحدة إلى نسبة تُقدَّر بحوالي خمسمائة بالمائة، وقد أخذت هذه النسبة في الازدياد، يذكر «هارت» أيضاً أن كل ما يقوله الرئيس وما يفعله يعكس ذلك الرأي القائل إن المتحدث هو الحكم وممارسة السلطة، وأن قوة الرئيس تكمن في قدرته على إقناع الجماهير.

هذه القوة وهذا الإقناع يكمنان في حرية الوصول إلى الإعلام، بل والقدرة على تشكيل أو صياغة عملية رفع التقارير الإخبارية. وعلى الرغم من قيام الإرهابيين بخلق الأحداث المنقولة عبر شاشة التلفزيون، إلا أننا نجد «ستيفن ليفنجستون» الأخصائي في مجال الاتصالات يناقش مسألة أن القدرة على تشكيل عملية رفع التقارير الإخبارية تُبقى على صلاحية الحكومة :

«عادة ما تنسب القدرة على تشكيل المدركات المتعلقة بأحداث العنف ومثيلها الأساسيين (لكل من مرتكبي الجريمة وضحاياها) إلى الموظفين الحكوميين وليس إلى الإرهابيين، إن التساؤل الذي يطرحه هؤلاء الموظفون في المقام الأول هو : من هم الإرهابيون ؟ إن من لديهم حرية الوصول إلى وسائل الإعلام - هؤلاء الذين يلجأ إليهم محررو الأخبار عندما يهدأ الاضطراب ويتوقف إطلاق النار - هم الذين يتمتعون بالقدرة على تشكيل المدركات وعملية تغطية الأحداث».

كانت تلك هي المهمة التي وجب القيام بها في الحادى عشر من سبتمبر عندما خاطب الرئيس الأمريكى «جورج بوش» شعبه. تستلزم هذه الخطب الرئاسية عمل تغطية إخبارية، حيث إن «بوش» قد تحدث إلى شعبه في ذلك اليوم ثلاث مرات، بما في ذلك خطاب ألقاه في الساعة الأولى من النهار حيث توجد أكبر نسبة مشاهدة (يمكنك الاطلاع على هذه الخطب في الملحق الموجود آخر هذا الفصل). لقد كان هنالك أيضاً أربع مذكرات ألقاها البيت الأبيض، وبيان ألقاه وزير الصحافة، وبالطبع شغلت تصريحات الموظفين الحكوميين الحاليين أو السابقين جميع الموجات الإذاعية.

لقد جاءت تعليقات «بوش» الأولى على الموقف - بعد مرور خمس وأربعين دقيقة من ارتطام الطائرة الأولى بمركز التجارة العالمى - موجزة؛ لقد تحدث لمدة دقيقة واحدة فقط، من مدرسة «إيما بوكسر» الابتدائية في «ساراسوكا» بفلوريدا. لقد صور في تعليقه الأحداث بدقة بالغة - جديرة بالملاحظة - قائلاً : «ارتطمت طائرتان بمركز التجارة العالمى». لقد وصف الموقف أيضاً قائلاً : «لحظة عصيبة تمر بها الولايات المتحدة»، «هجوم إرهابى صريح»، و «مأساة قومية». لم تكن الولايات المتحدة وقتها في حرب بعد.

عند فحص الجملتين التاليتين سنركز النظر على اللغة المستخدمة، وخاصة

الخيارات النحوية. تسهم هذه التعليقات أيضاً فى عملية (إعادة) البناء أو التركيب البلاغى لبوش الرئيس، إنه المسيطر، يُشار إليه نحوياً بأنه معلوم، لاحظ استخدامه للضمير الشخصى « I : أنا » وبصيغة المبني للمعلوم فى الجملة الآتية التى تعبر عن قيادته لموارد الدولة بأكملها :

« لقد تَحَدَّثْتُ إلى نائب الرئيس، وإلى حاكم ولاية نيويورك، وإلى مدير مكتب التحقيقات الفيدرالى، كما سَخَّرْتُ جميع موارد الحكومة الاتحادية لمساعدة الضحايا وأسرهـم، وأيضاً لإجراء تحقيقات شاملة تهدف إلى التفتيش عن مُرتكبي هذه الجريمة ومطاردتهم أينما وَجِدُوا ».

يتناقض هذا الأسلوب فى التعبير مع الأسلوب الذى اتبعه النائب العام « جون أشكروفت » فى تعليقاته على الموقف فى ذلك اليوم، حيث استخدم صيغة « المبني للمجهول » : « لقد تم تحديد المواقع التى حدثت بها هذه الجريمة بواسطة السلطات الفيدرالية ». نلاحظ أيضاً أنه لم يذكر الفاعل الذى قام بالفعل فى بعض الجمل : « لقد تم نشر جميع الموارد التابعة لوزارة العدل بشكل استراتيجى من أجل التحقيق فى هذه الجرائم ومساعدة الناجين منها، وأيضاً أسر الضحايا ». فى تعليقات الرئيس ، نجد أنه قد قام بنفسه بعمل كل ما هو مستطاع من أجل مساعدة المواطنين وحمايتهم.

لقد كان الرئيس حازماً فى قوله : « لن يستمر هذا الإرهاب ضد أمتنا ». لقد غلب على أسلوبه الطابع الرئاسى وأيضاً العائلى حينما تعهد بإيجاد « هؤلاء القوم الذين ارتكبوا هذه الفعلة »، لقد أشار أحد الدارسين إلى أن « الرئاسة لا تزال حكومة ملكية عامية (غير رسمية) لعينة ».

لقد أوجد الرئيس أمة متحدة – من الناحية النحوية – تحت رعاية الله حينما أعلن : « نحن نمر بمأساة قومية ». بالنظر إلى الضمائر المستخدمة هنا،

سنجد ما أطلق عليه العالم اللغوى «جون ويلسون»: النافذة الضميرية إلى فكر القائد السياسى واتجاهاته. غالباً ما تكون الإشارة إلى الضميرين «We: نحن» و«You: أنت أو أنتم» غامضة (سيدكرنا ذلك بنصائح «مُدْرَسينا» فى المدرسة الثانوية العليا بتجنب استخدامهما!). سنجد غموضاً بالطبع فى أسلوب التعبير الذى استخدمه مسئول الخدمات الصحية والإنسانية «تومبسون» فى ذلك اليوم: «يجب الآن البدء فى معالجة ما حدث من جرأ هذه المأساة». يناقض ذلك استخدام بوش للضمير (نحن) الذى أشار به إلى أمة (أعاد) بناءها وتوحيدها من خلال تعليقاته: «لن يستمر الإرهاب ضد امتنا». وبعد أن قام «بوش» بجعل مُستَمِعيه أمة واحدة مُتحدة أنهى خطابه قائلاً: «والآن لتتوحد فى لحظة من الهدوء والسكينة مبتهلين إلى الرب أن يُبارك الضحايا وأسرههم والولايات المتحدة. شكراً جزيلاً».

بالهجوم على البنتاجون وسقوط الطائرة، ورحلتها رقم (٩٣) - التى يُفترض أنها كانت مُتجهة إلى البيت الأبيض - واجه المسؤولون عن سلامة الرئيس مازقاً كبيراً، حيث كان يتوجب الحفاظ على سلامة الرئيس بإبقائه فى مواقع آمنة من ناحية، كما كان الرئيس فى حاجة إلى أن يكون ظاهراً خطابياً - من خلال الإعلام - من ناحية أخرى. لقد تحدث الرئيس مرة أخرى فى الساعة الواحدة وأربع دقائق ظهراً من قاعدة «باركسديل» الجوية فى «لويزيانا». لقد كانت مهمته الأولى فى هذا الخطاب هى أن يُعيد طمأنة شعبه؛ لذلك يبدأ حديثه قائلاً: «أرغب فى أن أطمئن الشعب الأمريكى على أن جميع موارد الحكومة الفيدرالية تعمل من أجل مساعدة السلطات المحلية فى إنقاذ الأرواح ومساعدة ضحايا تلك الهجمات أيضاً».

على الرغم من غياب الرئيس عن العاصمة، إلا أنه كان قادراً على التأكيد أنه قد قام بتوجيه جميع موارد الدولة من أجل خدمة الضحايا وأسرههم. نجده

أيضاً قادراً على طمأنة هؤلاء الذين يعتقدون أن التحدث هو الحكم، وذلك في قوله : «إننى على اتصال منتظم بنائب الرئيس، ووزير الدفاع، وفريق الأمن القومي، ومجلس الوزراء». يتجه حديث «بوش» إلى التعبير عن ضرورة خدمة حكومة شعبه: «لقد اتخذنا جميع الاحتياطات الأمنية اللازمة لمواصلة حكومتكم أداء مهامها» والحفاظ على أمنه وسلامته أيضاً : «لقد اتخذنا جميع الاحتياطات الأمنية اللازمة لحماية الشعب الأميركي».

عند سماعنا لهذه التصريحات سنجد العديد من الدلائل أو الإشارات إلى نية التخطيط للقيام بأعمال عسكرية، وذلك في العديد من العبارات : «لن نرتكب خطأ، ستقوم الولايات المتحدة بمطاردة المسؤولين عن هذه الجرائم - التي تنسم بالجبن والوضاعة - ومعاقبتهم». لا يبدو أن هذه العبارة تضع الولايات المتحدة على قدم الحرب. توحي مطاردة الجناة ومعاقبتهم بضرورة القيام بأعمال سرية تقود - مثلاً - إلى قتل مرتكبي هذه الجريمة أو تسليمهم للعدالة، ويكون ذلك بإشراف من الولايات المتحدة أو القانون الدولي. يمكن أيضاً أن تعنى هذه العبارة القيام بأعمال عسكرية رسمية، ولكن سرعان ما ستأتى الإشارة الثانية إلى نية القيام بأعمال عسكرية : «إننا على اتصال بزعماء «الكونجرس» وزعماء العالم كى نؤكد لهم أننا سنفعل أى شئ نراه ضرورياً لحماية أمريكا والأمريكيين».

يُعدُّ هذا الأسلوب في التعبير أكثر إنذاراً بالسوء. عندما يتحدث الرئيس فإنه يحكم. ربما متبداً تلك الكياسة المتبعة لتهديد الحلفاء فى أن توضع فى مكانها الملائم، لقد كان الرئيس صارماً حتى إنه ردَّ عبارة : «لن نرتكب خطأ» مرتين. لقد كان يخاطب تلك الأمة المتحدة عندما قال هذه العبارة للمرة الثانية: «يخضع الآن صدق عزيمة شعبنا العظيم للاختبار. ولكننا لن نرتكب خطأ : سنظهر للعالم أجمع أننا قادرون على اجتياز هذا الاختبار».

يتشابه ذلك التصريح الذى ألقاه الرئيس فى قاعدة «باركسديل» مع تصريحه الأول: إنه يضع الرئيس فى موضع المسئولية، ويخضع جميع موارد الدولة لخدمة الشعب، ولكن بدأت سلطته فى الاتساع، وبدأ حديثه أكثر تفصيلاً حينما قال: «لن يستمر الإرهاب ضد شعبنا». نجد فى البيان الموجز الثانى أقوالاً مطمئنة عن وجود حل لهذه الأزمة، ولكنها كانت مصحوبة بما يؤكد للشعب ضرورة قيام الحكومة بفعل ما: «سنفعل أى شئ نراه ضرورياً». لقد اختتم الرئيس هذا التصريح مستخدماً النبوة الدينية كالتصريح الأول؛ فبعد أن أشار إلى أن الشعب سيجتاز الاختبار، شكر «الناس» الذين كانوا يرفعون من شأن الجهود المبذولة لإنقاذ الأرواح، ثم أهدى صلاته ودعواته للضحايا وأسره، اختتم بوش حديثه «بمباركة الرب».

فى المساء أعلن الرئيس «الحرب ضد الإرهاب» فى حديث له ألقاه على مدى خمس دقائق - فى وقت توجد فيه نسبة مشاهدة عالية - خاطب فيه الشعب. يبدأ الرئيس فى وصف تلك الهجمات قائلاً: «إن المسألة ليست مجرد طائرتين اصطدمتا بمركز التجارة العالمى، أو أن تلك الهجمات تمثل أحداثاً بأساوية، بل أنها هجمات شنت ضد مجرى حياتنا والأسلوب الذى نحيها من خلاله».

«مساء الخير، مواطنينا الأعزاء، لقد تعرض اليوم مجرى حياتنا وحريتنا للهجوم، من خلال سلسلة من الأعمال الإرهابية المتطرفة المدروسة. لقد كان الضحايا فى الطائرات، أو فى وظائفهم؛ سواء كانوا سكرتارية، رجالاً وسيدات أعمال، موظفين فيدراليين وعسكريين؛ آباء وأمهات، أصدقاء وجيراناً. لقد سلبت تلك الأعمال الإرهابية الآثمة، التى تستحق الازدراء، آلاف الأرواح بشكل مفاجئ».

لقد تم إنجاز الكثير بلاغياً في هذه السطور القصيرة. لقد تمت استشارة المواطنين قاطبة، تتحد تلك الاستشارة مع استشارة أخرى للرموز الإقليمية المتعلقة بـ «مجرى الحياة» و «الحريات». إن استشارة هذه الرموز ما هي إلا استشارة لمبادئ أو قواعد سلوك سيضحي معظم الأمريكيين بحياتهم من أجلها. يجب أن نتحدث قليلاً عن كل من الشعب والرموز؛ من أجل الوصول إلى طريقة لفهم كيفية نشر هذه المفاهيم بشكل استراتيجي، من خلال اللغة.

يُعرف «بينديكت أندرسون» - وهو دارس في علم الأنثروبولوجيا- الأمة بأنها «جماعة سياسية مُتخيلة»، يخيّرنا «أندرسون» بأنها متخيلة لأن أعضاء الأمة حتى ولو كانت أصغر الأمم عدداً لا يعرفون الكثير عن الأعضاء الآخرين من زملائهم، لا يقابلونهم أو حتى يسمعون عنهم، ومع ذلك يحيا في عقل كل منهم صورة أو تخيل لوجود تجاوب روحي وفكري يجمع بينهم.

تميل الحدود القومية أيضاً إلى كونها حديثة، مرنة وطارئة. وبما أن الحكومات (الدول) القومية كيان فلسفي، فإنه يتم سلبها قوتها إلى حد ما، ومع ذلك نجد اليوم جميع الأفراد الذين يعيشون على هذا الكوكب مفطورين على الحبس القومي.

تبحث «لورين بيرلنت ١٩٩١» الدارسة في العلوم الأدبية بناء الشعب الأميركي. تذكر «بيرلنت»: «أن أمريكا تربط الأمريكيين ببعضهم ببعض على نحو معقد، لأننا نقيم في الحيز السياسي للأمة». ليس هذا الحيز أو هذا المكان مجرد حيز قانوني، جغرافي، تاريخي، لغوي، أو تجريبي، إنه «عنفود متشابك من كل هذا» تُطلق «بيرلنت» على هذا الحيز السياسي اسم «الرمز القومي» حيث إنه يستحضر جميع الرموز التي تستثير أمريكا. يمكن أن يُنظر إلى المنطقة الخطابية للحادي عشر من سبتمبر على أنها موقع رمزي قومي. وتُناقش

«بيرلنت» مسألة مهمة ألا وهى: أننا دائماً ما نواصل (إعادة) بناء الأمة من خلال التطبيقات اللغوية. من أهداف الرمز القومى إحداث تصور باطل عن وجود اتحاد قومى.

فى الواقع، يُعدُّ ذلك التعهد بتحقيق الاتحاد القومى وهمياً ولا يمكن تطبيقه، من خلال الشخصية القومية يتحرر الفرد من الاتحادات أو الانتماءات المحلية فقط، ويتم التعهد له بأنه سيتمتع بشخصية تضامنية غير محدودة، ولكن تلاحظ «بيرلنت» أن «الأشخاص لا يكونون على طبيعتهم فى الاتحادات المحلية». يجب أن (يعاد) صنع الشعوب والأمم. تُعدُّ التغطية الإعلامية للالعاب الأولمبية - مثلاً - ابنتى الصغيرة بشخصية تضامنية (جماعية) كما تُحيى الأمة، حتى عندما «يتعرض الرياضيون للهجوم».

فى خطاب الرئيس «بوش» الذى ألقاه فى ساعة توجد فيها أكبر نسبة مشاهدة، نجد أن الأشخاص المؤهلين ما هم إلا أمريكيون (أعيد) تشكيلهم - لقد تعرضوا للهجوم فى الطائرات وفى وظائفهم؛ أمهات وآباء. إن المنطقة الرمزية الأمريكية هى الموقع الذى ألقى منه الرئيس هذه الخطبة:

«لقد تم تحريك شعب عظيم من أجل الدفاع عن أمة عظيمة. إن الهجمات الإرهابية قادرة على زعزعة أسس أكبر منشآتنا، ولكنها غير قادرة على أن تمس الأساس الأمريكى، إن هذه الهجمات قادرة على أن تُحطم الفولاذ، ولكنها غير قادرة على التأثير فى صلابة العزيمة الأمريكية، لقد استهدفت الولايات المتحدة لأنها هى منارة الحرية والفرص، وهى الأكثر تألقاً على مستوى العالم، لن يمنع أحد ذلك الضوء من السطوع. لقد شهد شعبنا اليوم شراً عظيماً هو أسوأ ما تتسم به الطبيعة البشرية. وتمثل رد فعلنا فى تسخير جميع المجهودات الأمريكية - للخروج من هذه الأزمة - المتمثلة فى جسارة عمال الإنقاذ، الاهتمام

بالغرباء، والجيران الذين أتوا للتبرع بدمائهم، وأيضاً للمساعدة بأية وسيلة يرون أنهم قادرون عليها.

إنه يوم يتحد فيه جميع الأمريكيين من حقول الحياة المختلفة في إصرارهم وعزيمتهم من أجل تحقيق العدل والسلام. لقد قاومت الولايات المتحدة أعداءها من قبل، وستفعل ذلك هذه المرة، لن ينسى أى منا هذا اليوم أبداً. مع ذلك سنتقدم من أجل الدفاع عن الحرية، وكل ما هو صالح وعادل فى عالمنا.

تتسم هذه اللغة الخطابية عن البناء القومى بأنها تتبع أسلوب «التقارب عن طريق التباعد» أو «التضافر عن طريق الاختلاف» نلاحظ أن هناك تناقضاً بين الأمريكيين وأعدائهم المشتركين، نجد أن الشر - وهو أسوأ الصفات التى تتسم بها الطبيعة البشرية - يقابله أفضل شيئين فى أمريكا ألا وهما الجسارة ورعاية الآخرين. هناك تضاد آخر بين «الأفعال الجديرة بالازدراء، والقتل الجماعى» وبين «منارة الحرية، العدل والسلام، الأكثر تألقاً وإشراقاً فى العالم»، ستستمر هذه التناقضات أثناء الحرب الخطابية، وسيستخدمها أيضاً رؤساء الدول الأخرى المتحالفتون مع هذه الدولة، وذلك من أجل لم الشعث وحث المواطنين على القيام بعمل مشترك.

فى الحادى عشر من سبتمبر صرّح رئيس الوزراء البريطانى «توني بلير» بأن : «الأشخاص الذين ارتكبوا هذه الجريمة لم يراعوا قداسة الحياة البشرية أو قيمتها، لذلك يجب علينا كشعوب ديمقراطية أن نتحد معاً ...» لقد كرر هذه التعليقات فى الثانى عشر من سبتمبر:

« يدرك العالم الآن مدى شر وقدرة الإرهاب الدولى على تهديد العالم الديمقراطى بأسره. إن الإرهابيين المسؤولين عن هذه الجريمة لا يتمتعون بذرة من الإنسانية أو الرحمة أو العدل. يقتضى ارتكاب مثل هذه الجرائم تعصباً وشرّاً لا يمكن تخيله».

لقد قيل إن لغة الرئيس الخطابية تتميز بأسلوبين: الأول استشاري أو مُحَرَّض، وهو مُفعم بالتفاؤل، أما الأسلوب الآخر فهو تعليمي (مُدْرَسِيٌّ أو تربوي) مُفعم بالواقعية والثقة والرمزية المصوغة في عبارات إنسانية. يجب على الرؤساء أن يجمعوا - إلى حد ما - بين التيارين، إلا أن الرؤساء من الأفراد يميلون إلى أسلوب عن آخر، يُظهر حديث «بوش» أسلوباً تعليمياً، وذلك على نحو ساخر، من خلال إطلاته للدُعابات عن سلوكه الفطري.

سيصبح ذلك هو أسلوب الرئيس في الأيام التالية. في خطاب الحادي عشر من سبتمبر، استحضر «بوش» الرموز الأمريكية، كما صاغ حديثه في عبارات إنسانية وعبارات تُصوِّرُ بيقيناً وواقعية دون كلل أو ملل. يتضح ذلك حينما قام الرئيس بوصف الموقف على نحو واقعي، ثم أضاف - بيقين لا يمتزعر - أن الأمة هي التي ستنتصر وتسود :

«لقد زعزعت صور الطائرات - وهي تخترق البنايات الضخمة - إيماننا، كما ملأتنا بحزن عميق وغضب شديد، لقد قصدت أعمال القتل الجماعي تلك إلى تخويف أمتنا وجعلها في حالة فوضى واستسلام، ولكنها فشلت في تحقيق هدفها لأن بلادنا صلبة وقوية».

لقد تحدث الرئيس بثقة زائدة طوال خطابه حينما أكد :

«إن قوتنا العسكرية قوية ومُعَدَّة».

«ستستأنف حكومتنا أداء مهامها دون توقف».

«لا تزال مؤسساتنا المالية قوية».

«لقد قاومت الولايات المتحدة أعداءها من قبل، وستفعل ذلك هذه المرة».

في ذلك اليوم أخذ «بوش» في بناء ملامحه الرئاسية بواقعية مُفعمة بالثقة، لقد أعلن الخطوات التي اتخذها باعتباره ممثلاً للسلطة التنفيذية :

« فور انتهاء الهجوم الأول، قمت بتنفيذ العديد من الخطط التي وضعتها
حكومتنا ، استجابة لتلك الحادثة الطارئة » .

« لقد وجهت جميع الموارد الخاصة بدوائر الاستخبارات والدوائر المختصة
 بتنفيذ القانون في طريق واحد، هو إيجاد الجناة وتقديمهم للعدالة » .

وهناك طرق جديدة أشار «بوش» من خلالها إلى الامتيازات الرئاسية،
لاحظ الجملتين التاليتين :

« إن تقديري لأعضاء الكونغرس – الذين انضموا إلى في استنكار هذه
الهجمات – عظيم » .

« وبالنيابة عن الشعب الأمريكي، أتوجه بالشكر إلى زعماء العالم الذين
سارعوا بالاتصال لتقديم العون والعزاء » .

لا يمكن أن تفسر تلك الاستنكارات في الجملة الأولى على أنها
تصريحات حرة مستقلة، وإنما يمكننا أن نلاحظ أنها تحمل في طياتها
تصريحات يريد الرئيس أن يقول من خلالها: « انضموا إلى » . أما في الجملة
الثانية فيتحدث بوش: « نيابة عن الشعب الأمريكي » . لقد وضعت اللفة – في
كلتا الحالتين – الامتيازات الرئاسية في المقدمة، من حيث القدرة على تقرير
جدول الأعمال، والتحدث نيابة عن الشعب . لم يتم وضع ذلك التأكيد على
دعم الكونغرس والعديد من زعماء العالم في المقدمة، وإنما أعلن كشيء قد تم
التسليم به بالفعل . يترك إعلان ذلك الائتلاف الفرصة أمام أول إشارة إلى
الحرب :

« تتحد الولايات المتحدة وأصدقائها وحلفاؤها مع جميع من يريد الأمن
والسلام في العالم، وستقف معاً من أجل الانتصار في حربنا ضد الإرهاب » .

في خطابه الرسمي الأول ذلك اليوم، أثار الرئيس «بوش» الموضوعات التي

ستسير وفقها سياسة الولايات المتحدة وقراراتها فى المستقبل، ألا وهى : الشر والإرهاب، والحرب ضد الإرهاب.

يسير «بوش» على نفس خطا شعبه من الناحية البلاغية، سنرى فى الفصل الثالث من هذا الكتاب أن جمهور المواطنين سرعان ما أطلقوا على الحادى عشر من سبتمبر تعبير : عمل إرهابى . لقد أشارت «كولين» ، وهى إحدى المواطنات إلى مُختطفى الطائرات بقولها : «إنهم خنازير إرهابيون متعصبون» وذلك بعد الهجمات مباشرة، لقد ذهبت إلى أبعد من ذلك؛ حيث أعطت «بوش» المسؤولة القيادية التى ستمكنه من اتخاذ القرارات اللازمة : «أيا ما كان الذى سيتوجب علينا أن نفعله لتخليص العالم من هذا الوباء، أتمنى أن يقوم «بوش» بعمل كل ما يلزم للتخلص منهم وإبادتهم» .

نعكس تعليقات «كولين» حقائق القرار العسكرى الأمريكى الحديث . أوضح كل من «كامبل» و «جيميسون» - الاستاذين فى علم البيان - ذلك بقولهم : «إن النموذج البلاغى (الخطابى) الموجود فى الدستور هو لرئيس يذهب إلى الكونغرس مُلتمساً إعطاءه التفويض الذى سيُمكنه من تمثيل دور القائد المسئول؛ إن النموذج الذى تطور بمرور الوقت هو لرئيس يأخذ على عاتقه القيام بهذا الدور، ويطلب تصديق الكونغرس على ذلك» .

لقد عُرف هذا الدور أو هذا المنصب من خلال قانون القوى الحربية الذى صدر عام (١٩٧٣) ، الذى يسمح للرئيس بإدخال القوات الجوية الأمريكية غمار المعركة دون إعلان رسمى للحرب . إن الإصرار على استدعاء قوات الجيش خلال فترة زمنية محددة لم يُختبر حتى الآن .

يوضح «كامبل» و «جيميسون» أن الحديث الدستورى عن التعاون بين الرئيس والكونغرس قد استبدل - بمرور الوقت - بآخر تبريرى . لقد أثبتنا أن اللغة الخطابية الرئاسية عن الحرب طوال تاريخ الولايات المتحدة تُظهر خمس خصائص :

(١) يُظهر كل عنصر فيها أن القرارات الخطيرة التي تتعلق باللجوء إلى القوة متأنية، حيث إنها نتيجة لتفكير وبحث عميق.

(٢) يتم تمييز التدخل باستخدام القوة من خلال عرض للأحداث وفقاً لتسلسلها الزمني، أو سرد للأخبار تُشتق منه تصريحات جدلية تحتمل الخلاف والمناقشة.

(٣) يُنصح الجماهير بالعمل على توحيد أهدافهم والتزامهم التام بواجباتهم.

(٤) لا تُبرر اللغة الخطابية استخدام القوة فحسب، ولكنها تُشَدُّ تولى الرئيس سلطات قانونية استثنائية باعتباره القائد المسؤول والقائم على أداء الخصائص السابقة.

(٥) يلعب تشويه الحقائق - الذي يتم بشكل استراتيجي - دوراً فريداً فيما ينادى به.

ستالفون العديد من هذه الخصائص في مناقشتنا التالية. لقد سيطر الحديث عن الحرب على كل مُراسلات البيت الأبيض بعد الحادى عشر من سبتمبر. وحفاظاً على بعض تقاليد الحرب، عقّد الرئيس جلسة مُشتركة في الكونغرس خاطب فيها أعضائه والشعب الأمريكى فى العشرين من سبتمبر. إن ما سهل مهمة الرئيس فى إقناع الجماهير هو القرار المشترك الذى أصدره الكونغرس فى الثانى عشر من سبتمبر، الذى خصّص بالفعل أموالاً ضخمة من أجل الحرب ضد الإرهاب، والذى ساند الرئيس أيضاً فى قراره «بتقديم مرتكبى هذه الهجمات والمخططين لها للعدالة من أجل معاقبتهم».

لقد كان خطاب الرئيس فى العشرين من سبتمبر تعليمياً من الدرجة الأولى. لقد أظهر الرئيس تفكيره المتأنى العميق قبل اتخاذ القرارات الخطيرة

مُحققاً بذلك الخاصية الاولى - التي أثبتتها كل من كامبل، وجيميسون -
التي يتميز بها الحديث الرئاسى عن الحرب، وذلك من خلال استخدام سلسلة
من الاسئلة أُجيب عليها بدقة وبتفصيل تام، سنتامل فقط الاسئلة الموجودة
لدينا هنا :

« يطرح الامريكيون الليلة العديد من التساؤلات :

إنهم يتساءلون : مَنْ هاجمنا ؟

الامريكيون يتساءلون : لماذا يكرهوننا ؟

الامريكيون يتساءلون : كيف سنقاومهم لنتنصر فى هذه الحرب ؟

الامريكيون يتساءلون : ما هو المتوقع مِنّا ؟»

نجد فى هذا الخطاب أيضاً أن خاصية « كامبل وجيميسون » الثانية قد
تحققت، من حيث تبرير الحرب ضد الإرهاب، من خلال عرض الاحداث وفقاً
لتسلسلها الزمنى :

« فى الحادى عشر من سبتمبر، ارتكب اعداء الحرية عملاً حربياً ضد
بلادنا . لقد عَرَفَ الامريكيون الحروب، ولكن لمائة وستة وثلاثين عاماً مضت
كانت تلك الحروب ضد بلادٍ أجنبية فيما عدا تلك الحرب التي شُنَّتْ ضد
الولايات المتحدة فى شهر ديسمبر من عام ١٩٤١ . لقد عرف الامريكيون
الولايات والكوارث التي تُسببها الحروب، ولكنها ليست مثل هذه الكارثة التي
حدثت فى صدر أعظم مدينة فى صباح هادئ . لقد عرف الامريكيون
الهجمات المفاجئة، ولكنها لم تكن كذلك التي شُنَّتْ ضد آلاف المدنيين، لقد
تعرضنا لكل هذا فى يوم واحد . لقد هبط الليل فى ذلك اليوم على عالم
مختلف : عالم تعرّضت فيه الحرية ذاتها للهجوم .»

لقد حثَّ الرئيس مستمعيه على الاتحاد والاتفاق في الأهداف والالتزام بالواجبات . بدأ الرئيس حديثه عن تلك الأمور مستخدماً في ذلك جملة خاصة هي « أطلب منكم » :

« أطلب منكم تدعيم القيم الأمريكية، وأن تتذكروا السبب الذي أتى من أجله الكثيرون إلى بلادنا .

أسالكم مواصلة تدعيمكم لضحايا هذه المأساة مادياً أو معنوياً .

أسالكم الصبر واحتمال الإجراءات الأمنية المتشددة التي سيصحبها شيء من البطء والإزعاج، وأسالكم الصبر أيضاً على هذا الكفاح الذي سيستمر طويلاً .

أسالكم مشاركتكم الدائمة، والثقة في الاقتصاد الأمريكي .

وأخيراً لتداوموا على الصلاة والابتهاال .

لم يُطلب من الأمريكيين هنا التضحية بحياتهم، ولكن سيطلب منهم ذلك في موضع آخر ستعرض له الآن . تبدأ الحملة الخاصة التي تطالب الأمريكيين بتوحيد أهدافهم بالعبارة الآتية : « سنتحد » :

« سنتحد لتحسين الأمن الجوي، سنتحد من أجل إمداد الدوائر المختصة بتنفيذ القانون بالادوات الإضافية اللازمة لتعقب الإرهابيين ومعرفة عواطفهم . سنتحد من أجل اتخاذ خطوات فعالة تساعد على تقوية الاقتصاد الأمريكي، وتعيد إلى أفراد الشعب وظائفهم التي سلبت منهم » .

نلاحظ أن الوحدة المطلوبة هنا هي وحدة عالمية شاملة أيضاً :

« إنها ليست معركة أمريكا وحدها، ليست حرية أمريكا وحدها هي التي

تواجه خطراً، إنها معركة العالم أجمع، إنها معركة الحضارة، إنها معركة كل مَنْ يؤمنون بالتقدم والتعددية والتسامح والحرية. ندعو جميع الدول والشعوب إلى الانضمام إلينا يهرع العالم المتحضر إلى نصرة الجانب الأمريكي»

يقف «بوش» هنا على أرض صلبة؛ لقد كان «توني بليزر» قد أعلن من قبل في ذلك اليوم : «إنها ليست حرباً بين الولايات المتحدة والإرهاب، وإنما هي حرب بين العالم الحر الديمقراطي وبين الإرهاب، لذلك نحن هنا في بريطانيا نقف جنباً إلى جنب مع أصدقائنا الأمريكيين». لقد أكد على هذه الوحدة في الثاني عشر من سبتمبر بعد محادثاته مع «العديد من زعماء العالم» :

«نتفق على أن هذا الهجوم ليس هجوماً على الولايات المتحدة وحدها، وإنما هو هجوم على العالم أجمع، وهذا يتطلب منا استنكاراً جماعياً تاماً، إصراراً على تقديم الجناة للعدالة، وأيضاً دعم الشعب الأمريكي في الشدائد».

بعد أن سأل «بوش» شعبه التوحد والالتزام بالواجبات، نجد حديثه بعد ذلك يُقرُّ بدوره كقائد في المسؤولية :

«سنجعل جميع موارد الدولة تحت قيادتنا : جميع السبل الدبلوماسية، وجميع أدوات دوائر الاستخبارات، وجميع وسائل تنفيذ القانون، وكل تأثير مالى، وكل سلاح ضرورى للحرب؛ لتمزيق هذه الشبكة الإرهابية العالمية وهزيمتها».

طبقاً للأسلوب التعليمى فى التعبير، نجد هذا الخطاب مُفعماً بالواقعية والثقة، إنه يصف – على نحو واقعى – نوعاً جديداً من الحرب، حرباً يمكن أن تؤدى إلى فقد الأرواح :

«لن تكون هذه الحرب مثل حربنا ضد العراق منذ عقد مضى، التى كان

هدفها تحرير الأرض كاملة، والحصول على نتيجة سريعة. لن تكون هذه الحرب مثل حربنا الجوية في «كوسوفو» منذ عامين حيث لم تُستخدم أية قوات برية، ولم نفقد روحاً أمريكية واحدة في هذه المعركة. سيشمل ردنا على هذه المأساة أكثر بكثير من مجرد الأخذ بالثأر أو القيام بهجمات عسكرية منفصلة. يجب على الأمريكيين ألا يتوقعوا حرباً واحدة، وإنما حملة ممتدة لم يشهدوا مثلها من قبل، يمكن أن تتضمن هذه الحملة هجمات عسكرية مفاجئة - مرئية على شاشة التلفزيون - وعمليات سرية تتم في الخفاء، وستكون سرية حتى فيما تحققه من نجاح».

هناك نيقن من نتيجة الحرب دون النظر إلى مسارها، وعلى الرغم من أن «مضمار هذا الصراع غير معلوم... إلا أن نتيجته مؤكدة».

نجد في هذا الخطاب - كما في الخطابات السابقة - أن الرئيس قد استخدم المقابلة ليوضح وجهة نظره :

«لدى كل دولة الآن - في جميع الأقطار - قرار لتتخذه: إما أن تكونوا معنا، أو مع الإرهاب».

«لطالما كانت الحرية والخوف، العدل والوحشية في صراع دائم، ولكننا على علم بأن الرب لا يسوى بينها».

يعلن هذا الخطاب في العديد من الأوجه نوعاً جديداً من الحروب - يطالب الشعب بالالتزام التام بما عليه من واجبات - تُشبه كثيراً الحرب الخطابية المعروفة التي تم توثيقها منذ بدء قيام الجمهورية. سيُطلعنا إدراكنا لطبيعة الحادثة على درجة مطابقة خطاب الرئيس للخاصية الخامسة التي تتميز بها الخطابة الرئاسية عن الحرب، التي أشار إليها كل من كامبل وچيميسون، فهو يبرز التشويه الاستراتيجي للحقائق، مع عدم وجود هجوم واضح. إن استخدام

مصطلح «تشويه الحقائق» ما هو إلا محاولة منهما للإمساك بزمام السياق الخاص للخطابة الرئاسية عن الحرب.

يتولى الرئيس دور القائد المسئول فى وقت الحرب، فإنه يمارس سلطات استثنائية لا يتم منحها بسهولة إلا فى دولة ديمقراطية وفى جوٍّ من الاتفاق الجماعى القوى فى الرأى. ستنقل - بالضرورة - الخطابات التى تقصد التقليل من نسبة المعارضة وبناء الوحدة معلومات على نحو انتقائى يرضى عنه الشعب، من خلال تقوية المعنى على الأقل. إن ما يجعل هذه الانتقائية مُحتملة هى حقيقة أن الرئيس هو الشخص الوحيد الذى لديه حرية الوصول إلى المعلومات التى سيحدد من خلالها ما إذا كان سيقوم بعملٍ عسكري أم لا.

يؤكد كل من «كامبل و جيميسون» أن تشويه الحقائق غالباً ما يأتى فى صورة إغفال أو حذف بعض الأشياء، فنجد فى خطاب الرئيس مثلاً أن الشكوى الوحيدة التى ذكرها بشأن تنظيم القاعدة جاءت فى صورة الإجابة التالية: «إنهم يكرهون حريتنا» على السؤال: «لماذا يكرهوننا؟». لقد تجاوزت مشاعر الاستياء التى أيدت تطويع أفراد تنظيم القاعدة واستقطابهم ذلك، وسنجد فى الأسابيع المقبلة تفسيرات وأبحاثاً أكثر عمقاً بشأن هذه الأعمال الإرهابية، ولكن لم تكن تلك هى المهمة الخطابية المطلوبة آنئذٍ. (سنجد فى الفصل السادس من هذا الكتاب أن البعض ممن اعترضوا على تلك التشويهات الاستراتيجية للحقائق قد تم شجب اعتراضاتهم بشدة فى العديد من المطبوعات).

يُعدُّ تصوير تنظيم القاعدة مشيراً للشك والخلاف، مثله مثل وصف مسأوته: «إن هدف هذا التنظيم هو فرض آراء أعضائه المتطرفة على الناس فى كل مكان». يُعد هذا تبسيطاً للرؤية الرئاسية.

فى النهاية، يجب أن نلاحظ أن القصف الوشييك لأفغانستان لا يمكن

تبريره إلا من خلال ربط طالبان بالقاعدة: «شاهدنا في أفغانستان رؤية تنظيم القاعدة للعالم»، ويعد هذا تشويهاً للحقائق مثيراً للجدل والنقاش.

لو أنَّ الحسائر البشرية في هجمات الولايات المتحدة الجوية كانت أكثر من ذلك، لكان هذا الربط بين طالبان والقاعدة سيتم إظهاره بصورة مُغالى فيها في الأيام والأسابيع التي تلت هذه الهجمات. إلا أنه - في البداية - لم يتم الإبلاغ إلا عن القليل من الحسائر (الإصابات) البشرية، كما لم يَأْسَ على الضرر الذي ألحق بطالبان إلا القليل من الأمريكيين.

هناك إغفالات أخرى محتملة، فلم تذكر خطابات الرئيس بشكل مفصل -مثلاً- السبب الذي أدى إلى أن تصبح الحرب هي الرد المحتسب على الإرهاب، كما أنها لم تُناقش العواقب الأخرى التي ستنجم عن الحرب وتوسع القوة العسكرية الأمريكية.

تأتي اللحظة الخطابية الأخيرة والحاسمة في عملية شن الحرب ضد الإرهاب، في السابع من أكتوبر حينما خاطب الرئيس «بوش» الشعب الأمريكي من حجرة توقيع المعاهدات بالبيت الأبيض مُعلنًا عمليات القصف في أفغانستان. لقد بدأ خطابه قائلاً:

«تنفيذاً للأوامر الصادرة من جانبي، بدأت العسكرية الأمريكية شن هجماتها ضد معسكرات تدريب الإرهابيين من أعضاء تنظيم القاعدة والقواعد الحربية لحكومة طالبان بأفغانستان».

إنها المرة الأولى منذ خمسين عاماً التي ترد فيها الولايات المتحدة على هجوم شُن على أراضيها. إذا ما قارنًا خطابات الرئيس «بوش» بالخطاب الذي ألقاه الرئيس الأمريكي السابق «روزفلت» في ذلك اليوم الشهير الذي أطلق

سنيه «يوم الفضيحة والعار» وما تبعه من حديث مُتَقَدِّم في اليوم التالي، سيتضح لنا انه لا يمكن إقناع الشعوب بفكرة الحرب من خلال خطاب واحد فقط، وإنما نجد الجهود التي يبذلها الرؤساء الأمريكيون لإقناع شعوبهم مستمرة في تقدمها. ربما تكون الحرب ضد الإرهاب طريقاً لم يسلكه أحد من الناحية الفعلية، أما من الناحية الخطابية فقد سلكه الكثيرون.

سنختتم هذا الفصل بمقارنة بين خطاب الرئيس الأمريكي السابق يوم الهجوم الشهير على «بيرل هاربر» وبين خطاب الرئيس «بوش» في الحادى عشر من سبتمبر. وطبقاً للاعراف الخطابية سنجد الرئيسين قد مُنِحَا سلطات استثنائية باعتبارهما القائدين المسعولين، سنجد محاولات للتقليل من نسبة المعارضة، الخط من قدر الأعداء وتشويه سمعتهم، كما سنلقى فقداً كبيراً للأرواح دفاعاً عن أمة متحدة تحت رعاية الله. يُعَدُّ الابتهاال إلى الله بالصلاة من الاساليب التقليدية المُتَبَعَة في اختتام الخطابات الرئاسية، يمكن أن نضيف هذه الخاصية كخاصية سادسة مميزة للغة الخطابية الأمريكية عن الحرب. سنبحث في الدور الذى تلعبه الصلاة في الفصل الثانى من هذا الكتاب.

١٩٤١/١٢/٨ : سيعيش يوم السابع من ديسمبر لعام ١٩٤١ فى ذاكرتنا كىوم للفضيحة والعار، لقد شُنَّ فى هذا اليوم هجوم مفاجئ ومدروس (متعمد) على الولايات المتحدة الأمريكية.

٢٠٠١/٩/١١ : أعزائى المواطنين، لقد تعرضت حريتنا اليوم للهجوم من خلال سلسلة من الأعمال الإرهابية المتطرفة المدروسة.

١٩٤١/١٢/٩ : لقد قُتِلَ العديد من الجنود والبحارة الأمريكيين بفعل العدو. أغرقت السفن الأمريكية؛ دمرت الطائرات الأمريكية كذلك.

٢٠٠١/٩/١١ : لقد كان الضحايا في الطائرات، أو في وظائفهم؛
سكّرتارية، رجالَ وسيداتِ أعمالٍ، موظفين فيدراليين وعسكريين؛ آباء
وامهات، أصدقاءً وجيراناً.

١٩٤١/١٢/٩ : لقد اتحد هؤلاء القتلة الجبارون لشن حرب على الجنس
البشرى بأكمله.

٢٠٠١/٩/٢٠ : ما القاعدة إلا كالمافيا في ما ترتكبه من أعمال إرهابية
وإجرامية، ولكن هدفها لا ينصبُّ على كسب المال، وإنما على إعادة تشكيل
العالم، وفرض آرائها المتطرفة على الناس في كل مكان.

١٩٤١/٩/٩ : لا يوجد ما تعتز به أية أمة – أو أى فرد – مثل أمنها، في
عالم تحكمه قوانين القتل.

٢٠٠١/١٠/٧ : لا يمكن أن يكون هناك سلام في عالم يحكمه
الإرهاب.

١٩٤١/٩/٩ : نحن الآن في غمرة الحرب، إنها ليست حرباً من أجل
الانتقام أو الاستيلاء على أراضٍ غير أراضينا، وإنما هي حرب من أجل عالم تحيا
فيه أمتنا، وسيظل كل ما تمثله هذه الأمة وهذا الشعب آمناً من أجل أطفالنا.

٢٠٠١/٩/٢٠ : يعتمد تقدم الحرية الإنسانية – التي تعد أعظم إنجاز في
عصرنا وأعظم أمل في كل العصور – علينا الآن. سترفع أمتنا، بل هذا الجيل،
ذلك التهديد الأعمى الوحشى عن شعبنا ومستقبلنا.

١٩٤١/١٢/٧ : باعتبارى القائد المسئول عن الجيش والبحرية
الأمريكية؛ فقد أصدرت أوامرى باتخاذ جميع الإجراءات اللازمة للدفاع عن
دولتنا.

٢٠/٩/٢٠٠١ : سنجعل جميع موارد الدولة تحت قيادتنا : جميع السبل الدبلوماسية، وجميع أدوات دوائر الاستخبارات، وجميع وسائل تنفيذ القانون، وكل تأثير مالي، وكل الأسلحة اللازمة لخوض الحرب ، لتمزيق هذه الشبكة الإرهابية العالمية وهزيمتها.

٨/١٢/١٩٤١ : لن تكون حرباً طويلة، وإنما ستكون حرباً شاقة.

٢٠/٩/٢٠٠١ : يجب على الأمريكيين ألا يتوقعوا حرباً واحدة، وإنما حملة طويلة لم يشهدوا مثلها من قبل.

٩/١٢/٢٠٠١ : سنعرف أن الأغلبية العظمى من أعضاء الجنس البشري تقف إلى جانبنا. يقاتل الكثيرون منهم إلى جانبنا.

٢٠/٩/٢٠٠١ : يهرع العالم المتحضر لنصرة الجانب الأمريكي.

٨/١٢/١٩٤١ : حتماً سننتصر في هذه الحرب؛ ثقة في قواتنا المسلحة وعزمنا غير المتناهية. لذلك فليساعدنا الرب .

٧/١٠/٢٠٠١ : لن نترزع؛ لن نكل؛ لن نتداعى؛ ولن نفشل. سيسود السلام والحرية. فلندعُ الرب أن يُبارك الولايات المتحدة.

ملحق الترجمة

(١) تعليقات الرئيس بعد اصطدام طائرتين بمركز التجارة العالمي ،
مدرسة «إيما بوكرك» الابتدائية ، ساراسوتا ، ولاية فلوريدا

١١ سبتمبر ٢٠٠١ ، التاسعة والنصف صباحاً

الرئيس : سيداتي وسادتي ، إنها لحظة عصيبة تمر بها الولايات المتحدة .
سأعود - للأسف - إلى واشنطن بعد إلقاء هذا البيان . سيتناول الوزير « ريدج »
وحاكم الولاية المناقشات بشأن التعليم . أريد أن أتوجه بخالص الشكر إلى
جميع من في مدرسة «بوكرك» الابتدائية لحسن وفادتهم .

لقد شهدنا اليوم مأساة قومية . اصطدمت طائرتان بمركز التجارة العالمي في
هجوم إرهابي صريح على بلادنا . لقد تحدثت إلى نائب الرئيس ، وحاكم ولاية
نيويورك ورئيس مكتب التحقيقات الفيدرالية ، كما سَخَرْتُ جميع موارد
الحكومة الفيدرالية لمساعدة الضحايا وأسْرهم ، وايضاً للقيام بإجراء تحقيقات
شاملة تهدف إلى التفتيش عن مرتكبي هذه الجريمة ومطاردتهم أينما وُجِدوا .
لن يستمر الإرهاب ضد أمتنا .

والآن لنتوحد في لحظة من الهدوء والسكينة مبتهلين إلى الله أن يُبارك
الضحايا وأسْرهم والولايات المتحدة ، شكراً جزيلاً .

(٢) تعليقات الرئيس لدى وصوله إلى قاعدة «باركسديل» الجوية

لويزيانا ، ١١ سبتمبر ٢٠٠١ .

الرئيس : أريد أن أطمئنَ الشعب الأمريكي إلى أن جميع موارد الحكومة
الفيدرالية تعمل من أجل مساعدة السلطات المحلية في إنقاذ الأرواح ومساعدة

ضحايا تلك الهجمات أيضاً. لن نرتكب خطأ: ستقوم الولايات المتحدة بتعقب المسؤولين عن هذه الجرائم - التي تتسم بالجبن والوضاعة - ومعاقبتهم.

إننى على اتصال منتظم بنائب الرئيس، ووزير الدفاع، وفريق الأمن القومى، ومجلس الوزراء. لقد اتخذنا جميع الاحتياطات الامنية اللازمة لحماية الشعب الأمريكى. إن عسكريتنا الامريكية - فى الوطن أو حول العالم - على أهبة الاستعداد، لقد اتخذنا جميع الاحتياطات الامنية اللازمة لمواصلة حكومتكم أداء مهامها.

إننا على اتصال بزعماء الكونجرس، وزعماء العالم؛ كى نؤكد لهم أننا سنفعل كل ما يلزم لحماية أمريكا والأمريكيين.

أريد من الشعب الأمريكى أن ينضم إلى فى التوجه بالشكر إلى جميع من كافح لإنقاذ مواطنينا، وأن تنضموا إلى أيضاً فى الصلاة من أجل الضحايا وأسرهـم. إن صدق عزيمـة شعبنا العظيم يخضع الآن للاختبار، ولكننا لن نرتكب خطأ، سنظهر للعالم أجمع أننا قادرون على اجتياز هذا الاختبار، وليباركنا الرب.

(٣) بيان الرئيس فى خطابه للأمم

١١ سبتمبر ٢٠٠١، الثامنة والنصف مساء

● الرئيس : عمتـم مساء، مواطنينا الأعزاء، لقد تعرض اليوم مجرى حياتنا وحرمتنا للهجوم، من خلال سلسلة من الأعمال الإرهابية المتطرفة المدروسة، لقد كان الضحايا فى الطائرات، أو فى وظائفهم: سكرتارية، رجال وسيدات أعمال، موظفين فيدراليين وعسكريين، آباء وأمهات، أصدقاء وجيراناً، لقد سلبت تلك الأعمال الإرهابية الآثمة - والتي تستحق الازدراء - آلاف الارواح بشكل مفاجئ.

لقد زعزعت صور الطائرات وهي تخترق البنايات - الحرائق المشتعلة وانهيار البنايات الضخمة - إيماننا ، كما ملأتنا بحزنٍ مريعٍ وغضبٍ شديد . لقد قصَدَتْ أعمال القتل الجماعي تلك إلى تخويف (إرهاب) امتنا وجعلها في حالة فوضى واستسلام، ولكنها فشلت في تحقيق هدفها ؛ لأن بلادنا صلبة وقوية، لقد تم تحريك شعب عظيم من أجل الدفاع عن أمة عظيمة، إن الهجمات الإرهابية قادرة على زعزعة أسس أكبر منشآتنا، ولكنها غير قادرة على أن تمس الأساس الأمريكي، إن هذه الهجمات قادرة على أن تُحطم الفولاذ ولكنها غير قادرة على التأثير في صلابة العزيمة الأمريكية.

لقد استُهدِفَتْ الولايات المتحدة لأنها هي منارة الحرية والفرص المتوفرة، وهي الأكثر تألقاً على مستوى العالم، لن يمنع أحد ذلك الضوء من السطوع . لقد شهد شعبنا اليوم شراً عظيماً هو أسوأ ما تتسم به الطبيعة البشرية، لذلك سارعنا بتقديم أفضل شيئين تميز بهما الولايات المتحدة ألا وهما : جسارة عمال الإنقاذ ، والعناية بالغرباء، والجيران الذين أتوا للتبرع بدمائهم وأيضاً للمساعدة بأية وسيلة يرون أنهم قادرون عليها .

فور انتهاء الهجوم الأول، قمت بتنفيذ العديد من الخطط التي وضعتها حكومتنا استجابة لتلك الحادثة الطارئة، إن العسكرية الأمريكية قوية ومُعَدَّة، تعمل فرق الإنقاذ في مدينتي «نيويورك و واشنطن» من أجل تدعيم مجهودات الإنقاذ المحلية .

تنصَّبُ أولى اهتماماتنا في مساعدة الجرحى، وفي اتخاذ الاحتياطات الأمنية اللازمة لحماية مواطنينا في داخل وطنهم وحول العالم من أية هجمات قادمة . مستستأنف حكومتنا أداء مهامها دون توقف . ستفتح الوكالات الفيدرالية في واشنطن - والتي كان من المفترض أن يتم إخلاؤها اليوم - أبوابها

ثانية لأفراد بعينهم ، كما سيستأنف العمل بها فى الغد . لا زالت مؤسساتنا المالية قوية ، وسيظل الاقتصاد الأمريكى فاتحاً أبوابه أمام المشروعات التجارية .

لا زال البحث جارياً عن مقترفى هذه الاعمال الآثمة ، لقد وجهت جميع الموارد الخاصة بدوائر الاستخبارات والدوائر المختصة بتنفيذ القانون فى طريق واحد ، هو إيجاد الجناة وتقديمهم للعدالة . لن نفرق بين الإرهابيين الذين ارتكبوا هذه الافعال وبين الاشخاص الذين يقومون بإبرائهم والنستر عليهم . أكن كل تقدير لأعضاء الكونغرس الذين انضموا إلى فى استنكار هذه الهجمات بشدة . ونيابة عن الشعب الأمريكى ، أتوجه بالشكر إلى زعماء العالم الذين سارعوا بالاتصال لتقديم العون والعزاء .

تتحد الولايات المتحدة وأصدقائها وحلفاؤها مع جميع من يريد الأمن والسلام ، وسنقف معاً من أجل الانتصار فى حربنا ضد الإرهاب . أطلب منكم الليلة أن تُصلُّوا من أجل كل من شعروا بالحزن ، من أجل الأطفال الذين تم تحطيم عالمهم ، من أجل كل من شعروا أن أمنهم وأمانهم مهدد ، كما أدعو أن تبواسيهم وتساعدهم قوة أعظم منا جميعاً تتمثل فيما قيل - فى المزمور الثالث والعشرين - عبر المصور : « وإن كنت أسير فى وادى ظلمة الموت ، إلا أننى لا أخشى شيئاً ، لأنك (الرب) معى » .

إنه يوم يتحد فيه جميع الأمريكيين من مجالات الحياة المختلفة ، فى إصرارهم وعزيمتهم من أسجل تحقيق العدل والسلام ، لقد قاومت الولايات المتحدة أعداءها من قبل ، وستفعل ذلك هذه المرة . لن ينسى أى منا هذا اليوم أبداً ، ومع ذلك سنتقدم من أجل الدفاع عن الحرية ، وكل ما هو صالح وعادل فى عالمنا .

أشكركم ، تُصبحون على خير ، وليبارك الرب أمريكا .

(٤) خطاب الرئيس فى الجلسة المنعقدة بمبنى الكونغرس الأمريكى بواشنطن
والتى خاطب فيها أعضاء الكونغرس والشعب الأمريكى

٢٠ سبتمبر ٢٠٠١ ، التاسعة مساء

● الرئيس : سيدى رئيس المجلس ، سيدى الرئيس «بروتيمبور» ، أعضاء
الكونغرس الأمريكىين الأعزاء :

فى الظروف العادية ، يأتى الرؤساء إلى هذا المجلس لتقديم تقارير بشأن
حال الوحدة فى البلاد، ولكننا الليلة لن نحتاج إلى تقديم تلك التقارير، لقد
نقلها الشعب الأمريكى بالفعل.

لقد رأينا تلك الوحدة فى شجاعة ركاب الطائرات المختطفة، الذين
هاجموا الإرهابيين لإنقاذ الآخرين على الأرض ، ركاب مثل ذلك الرجل الرائع
«تود بيمر» ، اسمحو لى أن أرحب بزوجته «ليزا بيمر» الحاضرة معنا الليلة .
(تصفيق) .

لقد رأينا حال وحدتنا فى جلد وثبات فرق الإنقاذ فى ما تقوم به من
أعمال منهكة للغاية، لقد رأينا الإعلام المنتشرة فى كل مكان، الشموع
المشتعلة، الدماء المتبرع بها، والصلوات سواء المنطوقة بالإنجليزية، العبرية أو
العربية، لقد رأينا لياقة من شعوب محبة ومעطاء جعلت الحزن الذى يشعر به
للغرباء وكأنه حزننا .

مواطنينا الأعزاء، لقد رأى العالم بنفسه فى الأيام التسعة الماضية حال
وحدتنا ، وإنها لقوية . (تصفيق) .

الليلة نحن دولة صَحَّتْ على خطر كبير ونوديت للدفاع عن الحرية . لقد
تحولت مشاعر الحزن إلى غضب، وتحول ذلك الغضب إلى ثبات وإصرار فى
العزيمة . سيتم إقرار العدل، سواء قمنا بتقديم أعدائنا إلى العدالة أو أحضرنا
العدالة إليهم . (تصفيق)

أتوجه إلى الكونغرس بالشكر على قيادته في هذا الوقت الحرج . لقد تأثر الشعب الأمريكي مساء هذه المأساة عندما رأى الجمهوريين والديمقراطيين يسارعون إلى الانضمام لبعضهم البعض على درجات سلم هذا المبنى ، منشدين «ليبارك الرب أمريكا» . لقد فعلتم ما هو أكثر من الغناء ؛ لقد أحدثتم أثراً بالفعل ، وذلك بتقديمكم أربعين مليون دولار أمريكي لإعادة بناء مجتمعاتنا والوفاء بمتطلبات العسكرية الأمريكية .

رئيس المجلس «Hastert» ، زعيم الأقلية «Gephardt» ، زعيم الأغلبية «Daschle» ، والسناتور «Lott» : أشكركم لصدقكم ، قيادتكم وخدمتكم لبلادنا . (تصفيق)

ونبابة عن الشعب الأمريكي ، أتوجه بالشكر إلى العالم على تأييده ودعمه للتدفق لنا . لن ننسى أبداً موسيقى النشيد الوطني الأمريكي وهي تعزف في قصر «باكنجهام» في شوارع باريس ، وعندما مدخل «براندنبورج» ببرلين .

لن ننسى الأطفال في كوريا الجنوبية وهم مجتمعون للصلاة خارج سفارتنا الأمريكية في «سيول» ، أو الصلاة التي أقيمت بأحد المساجد بالقاهرة ، والتي تنم عن تعاطف كبير ومشاركة وجدانية ، لن ننسى لحظات السكون وأيام الحزن والحدا في أستراليا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية .

لن ننسى أيضاً مواطني ثمانين دولة أخرى ممن لقوا حتفهم مع مواطنينا : الكثير من الباكستانيين ؛ أكثر من (١٣٠) إسرائيلياً ؛ أكثر من (٢٥٠) مواطناً هندياً ، رجال ونساء من : السلفادور ، وإيران ، والمكسيك ، واليابان ؛ ومئات المواطنين البريطانيين ، ليس لدى الولايات المتحدة صديق حقيقي سوى بريطانيا العظمى (تصفيق) ، حيث تربطنا صلة قوية . لقد تميز رئيس الوزراء البريطاني متفضلاً محيطاً ليظهر وحدة أهدافه مع أهداف الولايات المتحدة . شكراً على قدومك أيها الصديق . (تصفيق)

فى الحادى عشر من سبتمبر، ارتكب أعداء الحرية عملاً حربياً ضد بلادنا، لقد عرف الأمريكيون الحروب، ولكن لمائة وستة وثلاثين عاماً مضت كانت تلك الحروب ضد بلادٍ أجنبية، فيما عدا تلك الحرب التى شنت ضد الولايات المتحدة فى شهر ديسمبر فى عام ١٩٤١. لقد عرف الأمريكيون الولايات والكوارث التى تسببها الحروب، ولكنها ليست كذلك الكارثة التى حدثت فى صدر أعظم مدينة فى صباح هادئ. لقد عرف الأمريكيون الهجمات المفاجئة، ولكنها لم تكن كذلك التى استهدفت آلاف المدنيين. لقد تعرضنا لكل هذا فى يوم واحد. لقد هبط الليل فى ذلك اليوم على عالم مختلف، عالم تعرضت فيه الحرية ذاتها للهجوم.

يطرح الأمريكيون الليلة العديد من التساؤلات، إنهم يتساءلون: مَنْ هاجم بلادنا؟ تشير كل الدلائل التى قمنا بجمعها إلى أن هناك مجموعة من التنظيمات الإرهابية تُعرف باسم «القاعدة». إن أعضاء هذه التنظيمات هم نفس القتلة الذين اتهموا بتفجير السفارتين الأمريكيتين فى تنزانيا وكينيا، والمسؤولون عن قصف USS Cole.

ما القاعدة إلا كالمافيا فى ما ترتكبه من أعمال إرهابية وإجرامية، ولكن هدفها لا ينصب على كسب المال، وإنما على إعادة تشكيل العالم، وفرض آرائها المتطرفة على الناس فى كل مكان.

يمارس هؤلاء الإرهابيون شكلاً متطرفاً من أشكال التطرفية الإسلامية التى ينبذها علماء المسلمين والأغلبية العظمى من رجال الدين الإسلامى. إنها حركة لجماعة ذات آراء متطرفة تحرف تعاليم الدين الإسلامى السمحة. إن التوجيهات الصادرة إلى هؤلاء الإرهابيين تأمرهم بقتل المسيحيين واليهود، وقتل جميع الأمريكيين، وعدم التفرقة بين العسكريين والمدنيين بما فى ذلك النساء والأطفال.

تتصل هذه الجماعة - وقائدها شخص يُدعى «أسامة بن لادن» - بالعديد من التنظيمات الأخرى فى دول متعددة، مثل حركة الجهاد الإسلامية فى مصر، والحركة الإسلامية فى «أزبكستان»، هناك الآلاف من هؤلاء الإرهابيين فى أكثر من ستين دولة، لقد تم تجنيدهم وأخذهم من مواطنهم وإرسالهم إلى معسكرات فى مناطق مثل أفغانستان، لتدريبهم على فنون الحرب والإرهاب، ثم يتم إرسالهم إلى أوطانهم أو إلى العديد من الدول عبر العالم للاختباء ووضع الخطط التخريبية الشريرة.

لقيادة تنظيم القاعدة تأثير كبير فى أفغانستان، كما أنها تساند حكومة طالبان فى السيطرة على أغلب المناطق فى هذه الدولة. فى أفغانستان، شاهدنا رؤية تنظيم القاعدة للعالم.

لقد جُرد الشعب الأفغانى من إنسانيته، يموت الكثيرون منهم جوعاً أو يهربون، لا يُسمح للنساء بالذهاب إلى المدارس، يمكن أن تُسجن لامتلاكك تليفزيوناً، لا يمكن ممارسة أية تعاليم دينية إلا تلك التى يُملئها عليهم زعمائهم، يمكن أن يُسجن الرجل فى أفغانستان لأن لحيته ليست طويلة بدرجة كافية. إن الولايات المتحدة تحترم الشعب الأفغانى، كما أنها تُعد من أكبر مصادر المساعدات الإنسانية الحالية بالنسبة للشعب الأفغانى، ولكنها تدين حكومة طالبان. (تصفيق).

إنها حكومة لا تقمع شعبها فحسب، ولكنها تهدد الشعوب فى كل مكان، وذلك بإيوائها للإرهابيين، التستر عليهم ودعمهم. بمساعدتها وتحريضها على القتل، ترتكب حكومة طالبان جريمة قتل مع سبق الإصرار.

أما المطالب التى ستمليها الولايات المتحدة الأمريكية الليلة على حكومة

طالبان فهى كالتالى : سلموا جميع قادة تنظيم القاعدة الذين يختبئون فى بلادكم إلى السلطات الامريكية . (تصفيق) أطلقوا سراح جميع المواطنين الأجانب - بما فيهم المواطنون الامريكيون - الذين قمتم بسجنهم جوراً وظلماً، قوموا بحماية رجال الصحافة الأجانب والدبلوماسيين، ورجال المساعدات الخاصة الموجودين فى بلادكم، أغلقوا جميع المعسكرات التدريبية للإرهابيين فى أفغانستان فوراً وبصورة دائمة، سلموا جميع الإرهابيين وكل شخص يسانداهم إلى السلطات المختصة . (تصفيق) أعطوا الولايات المتحدة مطلق الحرية فى الوصول إلى معسكرات الإرهابيين التدريبية كى نتأكد أنهم توقفوا عن القيام بأية عمليات .

ليست هذه المطالب موضع نقاش أو مفاوضة . (تصفيق) يجب أن تتصرف حكومة طالبان، وأن تتصرف على الفور: إما أن يسلموا الإرهابيين، وإما سيشاركونهم فى المصير الذى سيلقونه .

أريد الليلة ايضاً أن أتحدث إلى المسلمين عبر العالم بصورة مباشرة، إننا نحترم دينكم، إنه يمارس بحرية من قبل ملايين الامريكيين، وملايين آخرين فى أكثر الدول التى تعدها الولايات المتحدة صديقة لها . إن تعاليم الدين الإسلامى تدعو إلى الخير والسلام، أما مَنْ تُسَوَّل لهم انفسهم ارتكاب آثام تحت ستار الدين وباسم الله، فإنهم بذلك يكفرون باسم الله . (تصفيق) يُعد هؤلاء الإرهابيون خائنين لدينهم، يحاولون - فى الحقيقة - سلب الدين الإسلامى ذاته . إن أعدائنا ليسوا اصدقاءنا العديدين من المسلمين، ليسوا اصدقاءنا من العرب . لدينا عدو واحد هو: تلك الشبكة الإرهابية المتطرفة، وكل حكومة تقوم بدعمها . (تصفيق) .

ستبدأ حربنا ضد الإرهاب بتنظيم القاعدة، ولكنها لن تنتهى عند هذا الحد، لن تنتهى حتى يتم العثور على كل الجماعات الإرهابية ذات الصلات العالمية، وإيقافها وقهرها. (تصفيق)

يتساءل الأمريكيون : لماذا يكرهوننا ؟ إنهم يكرهون ما نراه نحن ها هنا فى هذا المجلس : حكومة منتخبة على نحو ديمقراطى. إن زعماءهم يعينون أنفسهم بأنفسهم. إنهم يكرهون حرياتنا : حريتنا الدينية، حريتنا فى التعبير، حريتنا فى التصويت، واتفاق أو اختلاف كل منا مع الآخر. إنهم يريدون الإطاحة بالحكومات الحالية فى العديد من الدول الإسلامية كمصر، والمملكة العربية السعودية، والأردن. إنهم يريدون أن يجبروا إسرائيل على الرحيل من منطقة الشرق الأوسط، إنهم يريدون أن يُخرجوا المسيحيين واليهود من المناطق الشاسعة بآسيا وإفريقيا. لا يقتل هؤلاء الإرهابيون لإنهاء الأرواح فحسب، ولكنهم يهدفون إلى إيقاع الفوضى فى البلاد وإنهاء مجرى الحياة التى نحياها، إنهم - بكل ما لديهم من وحشية - يأملون فى أن تزداد الولايات المتحدة خوفاً وتنعزل عن العالم، إنهم يقفون ضدنا، لأننا نقف فى طريقهم.

لن ننخدع بادعائهم التقوى. لقد رأينا أمثالهم من قبل، إنهم ورثة جميع الأيديولوجيات القاتلة والفتاكة للمقرن العشرين، إنهم بتضحيتهم بالروح الإنسانية لخدمة آرائهم المتطرفة - بتخليهم عن جميع القيم إلا تلك التى تعبر عن الرغبة فى السلطة - يسلكون طريق الفاشية^(١)، والشمولية^(٢). إنهم دائماً

(١) نظام أو حركة سياسية تمجد الدولة والعرق وتدعو إلى إقامة حكم أوتوقراطى مركزى على رأسه زعيم دكتاتورى وإلى السيطرة على شكل من أشكال النشاط القومى.

(٢) نظام سياسى استبدادى مبنى على إخضاع الفرد للدولة وعلى السيطرة الصارمة على جميع مظاهر الحياة وطاقاتها المنتجة.

ما يسلكون هذا الطريق، ولكن أين سينتهى هذا الطريق؟ سينتهى فى مقبرة التاريخ المجهولة المفعمة بالاكاذيب المنبوذة. (تصفيق).

يتساءل الأمريكيون: كيف سنقاومهم ونتصر فى هذه الحرب؟ سنجعل جميع موارد الدولة تحت قيادتنا: جميع الطرق الدبلوماسية، وكل أداة لدى دوائر الاستخبارات، وكل وسيلة لتنفيذ القانون، وكل تأثير مالى، وكل سلاح ضرورى للحرب؛ لتحزيق هذه الشبكة الإرهابية العالمية وهزيمتها.

لن تكون هذه الحرب مثل حربنا ضد العراق منذ عقد مضى، التى كان هدفها تحرير الأرض كاملة والحصول على نتيجة سريعة. لن تكون هذه الحرب مثل حربنا الجوية فى (كوسوفو) قبل عامين، حيث لم تستخدم أية قوات برية ولم نفقد روحاً أمريكية واحدة فى هذه المعركة.

سيشمل رد فعلنا على هذه المأساة أكثر بكثير من مجرد الأخذ بالشار، أو القيام بهجمات عسكرية منفصلة. يجب على الأمريكيين ألا يتوقعوا حرباً واحدة، وإنما حملة ممتدة لم يشهدوا مثلها من قبل، يمكن أن تتضمن هذه الحملة هجمات عسكرية مفاجئة - مرئية على شاشة التليفزيون - وعمليات سرية تتم فى الخفاء، وستكون سرية حتى فيما تحققه من نجاح. سنحرم الإرهابيين من ذلك التمسويل الذى يمولون به، سنقلب كلاً منهم ضد الآخر، سنقودهم من مكان إلى آخر حتى لا يجدوا ملجأ يلجأون إليه أو راحة يشعرون بها، وستعقب الدول التى تمم الإرهابيين بالعون أو توفر لهم المكان الآمن. لدى كل دولة الآن قرار لتتخذه: إما أن تكونوا معنا، أو مع الإرهاب. (تصفيق). من اليوم فصاعداً ستعتبر الولايات المتحدة أية دولة تواصل دعمها وإيواءها للإرهابيين حكومة معادية لها.

لقد وُضِعَتْ أمتنا تحت الملاحظة: نحن غير معفين من أى هجوم ضدنا.

سنستخدم الإجراءات الدفاعية لحماية الأمريكيين من أى عمل إرهابى . لدى الكثير من الوكالات والإدارات الفيدرالية اليوم – وكذلك الحكومات المحلية – مسئوليات تمس الأمن الوطنى . يجب أن يتم تنسيق هذه الجهود على أعلى مستوى . لهذا، أود أن أعلن الليلة أن الحكومة الأمريكية ستعهد بوظيفة جديدة على مستوى مجلس الوزراء إلى أحد الرجال الموثوق بهم، وسنرفع أية تقارير بشأنها إلى مباشرة، وهى وظيفة متعلقة بالأمن القومى .

وأود أيضاً أن أعلن أن من سيقود هذه الجهود لتقوية الأمن الأمريكى هو أمريكى بارز، عسكري محنك، حاكم قوى، وطنى حقيقى، وصديق موثوق به . إنه «توم ريدج» . (تصفيق) سيقوم «ريدج» بالقيادة والتنسيق والإشراف على خطة قومية شاملة لحماية بلادنا ضد أى عدوان إرهابى، وللرد على أية هجمات أخرى مُحتملة . (توم ريدج هو حاكم بنسلفانيا) .

تُعَدُّ هذه الإجراءات ضرورية؛ لأن الطريقة الوحيدة للقضاء على الإرهاب باعتبارها من الأشياء التى تهدد مجرى حياتنا، تتمثل فى إيقافه وتدميره أينما وُجد ونَمًا . (تصفيق)

سيشارك الكثيرون فى هذه الجهود، من العاملين بمكتب التحقيقات الفيدرالى، إلى رجال المباحث بدوائر الاستخبارات، وحتى جنود الاحتياط الذين قمنا باستدعائهم لأداء مهامهم . يستحق جميعهم شكرنا ودعواتنا .

والليلة، وعلى بعد أميال قليلة من البنتاجون، أود أن أنقل رسالة إلى قواتنا العسكرية : تاهبوا . لقد دعوت قواتنا المسلحة إلى التاهب أيضاً، ولكن هناك سبب لذلك . ستأتى اللحظة التى تقوم فيها الولايات المتحدة بعمل حقيقى، وسنعملوننا نفخر بكم . (تصفيق) .

إنها ليست معركة أمريكا وحدها. ليست حرية أمريكا وحدها هي التي تواجه خطراً، إنها معركة العالم أجمع، إنها معركة الحضارة، إنها معركة كل من يؤمنون بالتقدم والتعددية، والتسامح والحرية.

ندعو جميع الأمم والشعوب إلى الانضمام إلينا. سنطلب وسنحتاج مساعدة قوات الشرطة، والخدمات الاستخبارية، والأجهزة المصرفية حول العالم. تعبّر الولايات المتحدة عن امتنانها لسرعة استجابة العديد من الدول والمنظمات الدولية إلى تدائننا بالمشاركة الوجدانية والدعم. دول من أمريكا اللاتينية، إلى آسيا، إلى أفريقيا، إلى أوروبا، وحتى العالم الإسلامي. ربما يكون خير مثال يعكس موقف العالم هو ميثاق منظمة حلف شمال الأطلسي (ناتو) الذي يقول: إن الهجوم على دولة واحدة هو هجوم علينا جميعاً.

يهرع العالم المتحضر إلى نصرة الجانب الأمريكي. إنهم يدركون أنه إذا ما مرّ الإرهاب دون عقاب، فسيأتي الدور على بلادهم ومواطنيهم، لا يستطيع الإرهاب - دون الرد عليه - إسقاط البناءات فحسب، ولكنه يستطيع أيضاً تهديد استقرار الحكومات الشرعية. إنني أقول لكم: لن نسمح بحدوث ذلك. (تصفيق)

يتساءل الأمريكيون: ما هو المتوقع منا؟

أطلب منكم أن تواصلوا حياتكم وتعانقوا أطفالكم، أعلم أن الكثير منكم يمتلكهم الخوف الليلة، ولكنني أسالكم الهدوء وثبات العزيمة، حتى في وجه ذلك التهديد المتواصل.

أسالكم تدعيم القيم الأمريكية، وأن تتذكروا السبب الذي أتى من أجله الكثيرون إلى بلادنا. إننا في صراع من أجل مبادئنا، والمسؤولية الأولى التي تقع على

عانتقنا هي أن نحيا بهذه المبادئ. لا يجب أن نعامل أحداً معاملة ظالمة أو نخرج أحداً بكلمات فظة، لجرد أنه ينتمى إلى جذور عرقية أو دينية معينة. (تصفيق)

أسألكم مواصلة تدعيمكم لضحايا هذه المأساة مادياً ومعنوياً، يمكن لمن يرغب في تقديم مساعدته أن يلجأ إلى مصدر رئيسي من مصادر المعلومات - هو موقع على الإنترنت وعنوان بريده الإلكتروني «Libertyunites.org» للكشف عن أسماء الجماعات المختصة بتقديم المساعدات المباشرة في نيويورك وبنسلفانيا وفيرجينيا.

ربما يحتاج آلاف العاملين بمكتب التحقيقات الفيدرالي القائمين الآن على هذه التحقيقات إلى تعاونكم، لذلك أسألكم أن تمنحوهم إياه.

أسألكم الصبر واحتمال الإجراءات الأمنية التي ستكون أكثر تشدداً، والتي سيصحبها شيء من البطء والإزعاج، وأسألكم الصبر أيضاً على هذا الكفاح الذي سيستمر طويلاً.

أسألكم مشاركتكم الدائمة والثقة في الاقتصاد الأمريكي. لقد هاجم الإرهابيون رمزاً من رموز الازدهار الأمريكي، لكنهم لم يمسوا منبع هذا الازدهار، إن من أسباب نجاح الولايات المتحدة عملها الجاد، وإبداعنا، وحب شعبنا للمغامرة، لقد كانت تلك هي المقومات الحقيقية لاقتصادنا قبل الحادي عشر من سبتمبر، وستكون هي مقوماتنا اليوم. (تصفيق)

وأخيراً، لتداوموا على الصلاة والابتهاال من أجل ضحايا الإرهاب وأسره، من أجل من كانوا في الخدمة، ومن أجل بلادنا العظيمة. لقد خفت عنا الصلاة في لحظات الحزن والأسى، وستعطينا القوة في رحلتنا القادمة.

أود أن أتوجه بشكري الليلة إلى الشعب الأمريكي، لِمَا قدمه وما

سيقدمه. سيداتى وساداتى أعضاء الكونغرس، أشكركم وتمثليكم على ما قدمتموه وما ستقدمونه معاً.

إننا نواجه الليلة تحديات قومية مفاجئة وجديدة، سنتحد لتحسين الأمن الجوى، ولتوسيع عدد الفرق الجوية المسعولة عن الطيران الداخلى، ولاتخاذ إجراءات جديدة لازمة لحماية الطائرات من عمليات الاختطاف. سنتحد لنشر الاستقرار ولواصله الطيران الجوى القيام برحلاته، مع تقديم مساعدات مباشرة أثناء هذه الحادثة الطارئة. (تصفيق)

سنتحد من أجل إمداد الدوائر المختصة بتنفيذ القانون بالادوات الإضافية اللازمة لتعقب الإرهابيين ومعرفة مواطنهم. (تصفيق) سنتحد من أجل تطوير الكفاءات الاستخبارية التى ستتمكننا من معرفة الخطط التى يخطط لها الإرهابيون قبل تنفيذها، والعثور عليهم قبل أن يقوموا بأى هجوم. (تصفيق)

سنتحد من أجل اتخاذ خطوات فعالة تساعد على تقوية الاقتصاد الأمريكى وتعيد إلى أفراد الشعب وظائفهم التى سلبت منهم.

نُرحب الليلة بزعمين بجسدان الروح الفريدة غير العادية التى يتميز بها جميع ساكنى نيويورك، إنهما الحاكم «جورج باتاكي» والمهافظ «رودلف جوليانى». (تصفيق) ستعمل حكومتى - باعتبارها رمزاً للعزيمة الأمريكية - مع الكونغرس، ومع هذين الزعيمين أيضاً، لنظهر للعالم أجمع أننا سنعيد بناء مدينة نيويورك. (تصفيق)

بعد أن انقضى كل ذلك - بعد أن سلبت الأرواح وماتت الآمال - من الطبيعى أن نتساءل عما إذا كان مستقبل الولايات المتحدة سيكون مُفْعَماً بالخوف. البعض يتحدثون عن عصر من الإرهاب. أعلم أن هناك صراعات

مقبلة وأخطاراً سنواجهها . ولكن لن يحدد أحد زمانها إلا نحن، وما دامت الولايات المتحدة الأمريكية ثابتة وقوية فى عزيمتها، لن يكون ذلك العصر عصر الإرهاب؛ سيكون عصر الحرية، هنا وعبر العالم . (تصفيق)

لقد أنزل بنا ضرر عظيم . لقد عانينا خسائر فادحة، وفى لحظات حزننا اكتشفنا هدفنا وقوة عزيمتنا، إن الخوف والحرية فى حالة حرب . إن تقدم الحرية الإنسانية - التى تُعد أعظم إنجاز فى عصرنا وأعظم الآمال فى كل العصور - يعتمد علينا الآن . سنرفع امتنا - بل هذا الجيل - ذلك التهديد الأعمى الوحشى عن شعبنا ومستقبلنا، سنجمع العالم على هدف واحد بجهودنا وشجاعتنا، لن نكسل، لن نتردد، ولن نفشل . (تصفيق)

أتمنى أن تعود الحياة إلى مجراها الطبيعى فى الشهور والسنوات المقبلة، سنواصل حياتنا وأعمالنا الروتينية، وإن هذا لشيء جيد . فحتى الحزن يتراجع ويتقهقر مع مرور الزمان، بفضل ورحمة من الله، ولكن يجب ألا نزول عزيمتنا . سيذكر كل منا ما حدث ذلك اليوم، ولمن حدث، سنذكر لحظة سماعنا الأخبار - أين كنا وماذا كنا نفعل - سيذكر البعض صورة الحريق، أو قصة إنقاذ، سيحمل البعض ذكريات لوجه أو صوتٍ ذهب إلى الأبد .

أما أنا فأسحبل هذا : إنه درعٌ لرجل من رجال الشرطة يدعى « جورج هوارد » لقى حتفه فى مركز التجارة العالمى أثناء محاولته إنقاذ الآخرين، لقد أعطته لى والدته « أرلين » كتذكارة لولدها يبعث على الفخر، سيذكرنا هذا بالارواح التى سلبت، وبأن هناك مهمة لم تنتهِ بعد . (تصفيق)

لن أنسى هذا الجرح الذى أصاب بلادنا أو من سببه، لن أرضخ، لن ارتاح، لن اتهاون فى شن هذه الحرب من أجل حرية الشعب الأمريكى وأمنه .

وعلى الرغم من أن مضمار هذا الصراع غير معلوم، إلا أن نتيجته مؤكدة،
لطالما كان الخوف والحرية، العدل والوحشية فى صراع دائم، ولكننا على علم
بأن الرب لا يسوى بينها.

المواطنون الاعزاء، سنقابل العنف بالعدالة الصامدة مُتيقنين من صدق
قضيتنا وشرعيتها، واثقين أن هناك انتصارات قادمة. ندعو الله أن يمنحنا
الحكمة، وأن يحفظ الولايات المتحدة الأمريكية.

أشكركم . (تصفيق)

خطاب لرئيس الولايات المتحدة الأمريكية

٨ ديسمبر ١٩٤١

● إلى الكونجرس الأمريكى :

تعرضت الولايات المتحدة أمس - السابع من ديسمبر لعام ١٩٤١، وهو
يوم سيظل فى ذاكرتنا لما يمثله من عار وفضيحة كبرى - إلى هجوم مفاجئ
ومتعمد من قبل القوات البحرية والجوية التابعة للإمبراطورية اليابانية.

لقد عاشت الولايات المتحدة فى سلام ومودة مع هذه الامة - بناء على
التماس من اليابان - كما خاضت العديد من المباحثات مع الحكومة
وإمبراطورها بشأن الحفاظ على الأمن والسلام فى منطقة المحيط الهادئ.

بعد ساعة واحدة من قصف الفرق الجوية اليابانية لاوهايو، سلم السفير
اليابانى لدى الامم المتحدة وعدد من مرافقيه إلى وزير الخارجية رداً رسمياً على
رسالة كانت الولايات المتحدة قد بعثت بها مؤخراً إلى اليابان، وعلى الرغم من
أن مضمون ذلك الرد قد أشار إلى أنه لا جدوى من مواصلة المفاوضات

الدبلوماسية القائمة، إلا أنه لم يحوِ تهديداً أو تلميحا واحداً بشأن حرب أو هجوم مسلح.

سوف يتضح لنا بالإشارة إلى المسافة بين «هاواي» و «اليابان» أن الهجوم كان متعمداً ومخططاً له منذ عدة أيام أو حتى أسابيع، وفي غضون ذلك كانت الحكومة اليابانية تحاول تضليل الولايات المتحدة بإصدار تصريحات كاذبة خادعة تعبر عن أملها في تحقيق سلام دائم.

لقد سبب الهجوم الذي تعرضت له أمس جزر «هاواي» خسائر فادحة في القوات البحرية والعسكرية الأمريكية، حيث فقدت العديد من الأرواح الأمريكية، كما نسفت السفن الأمريكية أيضاً بفعل الألغام البحرية، وكان ذلك في عرض البحر بين «سان فرانسيسكو» و «هونولولو».

شنت الحكومة اليابانية أمس أيضاً هجوماً على الملايو.

شنت القوات اليابانية الليلة الماضية هجوماً على هونغ كونغ.

شنت القوات اليابانية الليلة الماضية هجوماً على جوام.

شنت القوات اليابانية الليلة الماضية هجوماً على الجزر الفلبينية.

شنت القوات اليابانية الليلة الماضية هجوماً على جزيرة Wake.

أما هذا الصباح فقد شن اليابانيون هجوماً على جزيرة Midway.

وبذلك شنت اليابان هجوماً مفاجئاً امتد في كل شبر من الأراضي التابعة للمحيط الهادئ.

إن حقائق أمس تتحدث عن نفسها، لقد كون الشعب الأمريكي بالفعل آراءه بشأن هذا الهجوم، كما أنه مدرك أن هذا الهجوم، موجه ضد الحياة ذاتها، وضد أمن أمتنا وأمانها.

باعتبارى القائد المسئول عن الجيش والبحرية الأمريكية، فقد أصدرت
أوامرى باتخاذ جميع الإجراءات اللازمة للدفاع عن أمتنا.

دائماً ما سنتذكر ذلك الهجوم الضارى الذى شن ضدنا .

لا يهم الوقت الذى سنستغرقه فى التغلب على هذا الهجوم المتعمد،
حتماً سينتصر الشعب الأمريكى نصراً كاملاً بما لديه من قوة أخلاقية صالحة .

أعتقد أننى ترجمت رغبة كل من الكونجرس والشعب، حينما أكدت
على أننا لن ندافع فقط عن أنفسنا إلى أقصى حد، ولكننا أيضاً سنناكد من أن
هذا الشكل من أشكال الغدر والخيانة لن يتكرر ثانية ولن يُعرضنا لخطر مرة
أخرى .

توجد عداوات؛ لذلك لا يمكننا أن نتغاضى عن حقيقة أن شعبنا وأراضينا
ومصالحنا معرضة لخطر داهم .

حتماً سننتصر فى هذه الحرب؛ ثقة فى قرائنا المسلحة وعزميتنا غير
المتناهية، لذلك فليساعدنا الرب .

لقد طلبت من الكونجرس أن يعلن بدء الحرب بين الولايات المتحدة
والإمبراطورية اليابانية منذ أن شنت اليابان هجومها الغادر المستفز على الولايات
المتحدة فى يوم الأحد السابع من ديسمبر .

«فرانكلين د. روزفلت»

● خطاب رئيس الجمهورية

مذاع من الحجرة البيضاء بالبيت الأبيض

تحالف قومي وعالمي

٩ ديسمبر ١٩٤١، العاشرة مساءً

● أعزائي الأمريكيين :

لقد قادتنا تلك الهجمات الإجرامية المفاجئة التي شنّها اليابانيون في المحيط الهادئ إلى ذورة عقد من اللا أخلاقية الدولية . لقد اتحد هؤلاء القتلة الجبارون ليسنوا حرباً على الجنس البشري برمته، يندفع تحديهم الآن نحو الولايات المتحدة الأمريكية . لقد انتهك اليابانيون السلام الذي طالمنا دام بيننا، قُتل العديد من الجنود والبحارة الأمريكيين بفعل العدو، أغرقت السفن الأمريكية؛ دُمّرت الطائرات الأمريكية أيضاً .

لقد قبل الكونغرس والشعب الأمريكي هذا التحدي .

نحن نقاتل الآن مع كل الشعوب الحرة من أجل الحفاظ على حقنا في أن نعيش مع جيراننا - حول العالم - جنباً إلى جنب في حرية، دون خوف من أي هجوم آخر . لقد أعددت بياناً مفصلاً عن علاقاتنا الماضية باليابان وسيتم تقديمه إلى الكونغرس، يبدأ هذا البيان بزيارة « كومودور باري » لليابان منذ ثمانية وثمانين عاماً مضت، وينتهي بزيارة اثنين من المبعوثين اليابانيين لوزير الخارجية الأحدهما الماضي، بعد ساعة واحدة من إطلاق القوات اليابانية قذائفها ومدافعها الرشاشة على العلم الأمريكي، على قواتنا ومواطنينا .

يمكنني أن أقول الآن وكلّي ثقة : إنه لا يمكن لأي أمريكي - اليوم أو لآلاف السنين القادمة - أن يشعر بشيء إلا الفخر، بشباننا ومجهوداتنا عبر السنين نحو تحقيق سلام دائم في منطقة المحيط الهادئ، وهذا سيدعو أية أمة

للفخر صغيرة كانت أم كبيرة، ولن يتمكن أى شخص صادق أمين - اليوم أو
لآلاف السنين القادمة - أن يطمس ذلك الإحساس بالخوف والحنق الذى أثاره
الدكتاتوريون اليابانيون العسكريون تحت راية السلام التى حملها مبعوثوهم فى
قلب بلادنا .

إن الطريق الذى سلكته اليابان فى آسيا منذ عشرة أعوام مضت يجرى فى
خط مواز لذلك الطريق الذى سلكه «هتلر» و «موسوليني» فى أوروبا وأفريقيا،
أما اليوم فقد أصبح ذلك أكثر من مجرد توازٍ أو تماثل، إنه تعاون فعلى -
مبدروس ومتعمد - بين القواد العسكريين فى دول المحور، هدفه تحويل جميع
قارات العالم، جميع المحيطات إلى ساحة قتال واحدة ضخمة .

فى عام ١٩٣١ - منذ عشرة أعوام - غزت اليابان « Manchukuo » دون
أى إنذار، وفى عام ١٩٣٥ أغارت إيطاليا على إثيوبيا دون أى إنذار، وفى عام
١٩٣٨ احتل «هتلر» الأراضى النمساوية دون أى إنذار، وفى عام ١٩٣٩ أغار
«هتلر» على تشيكوسلوفاكيا دون أى إنذار، وبعد ذلك فى نفس العام، أغار
«هتلر» أيضاً على بولندا دون إنذار، وفى عام ١٩٤٠ غزا «هتلر» النرويج،
والدنمارك، وهولندا، وبلجيكا ولكسمبورج - دون إنذار . وفى عام ١٩٤٠
شنت إيطاليا هجوماً على فرنسا وبعدها اليونان دون أى إنذار .

وفى هذا العام - ١٩٤١ - شنت دول المحور هجوماً على يوغوسلافيا
واليونان وأحكموا سيطرتهم على البلقان دون أى إنذار . فى عام ١٩٤١
- أيضاً - أغار «هتلر» على روسيا دون أى إنذار، والآن قامت اليابان بشن هجوم
على الملايو وتايلاند - والولايات المتحدة - دون إنذار . يُعدّ كل هذا مثلاً
لنمط واحد .

نحن الآن فى هذه الحرب، جميعنا فى هذه الحرب، كل رجل مستقل

وامرأة وطفل شريك فى مشروع الحفاظ على تاريخنا الأمريكى، يجب أن نتشارك الاخبار المخزنة والاخبار المفرحة، الهزائم والانتصارات ومصائر الحرب المتغيرة.

إن الاخبار مُحزنة حتى الآن، لقد لقينا هزيمة كبرى فى هاواى، ولقيت قواتنا فى الجزر الفلبينية - التى تحوى أشجع الرجال - أقصى عقاب وهى تحاول المقاومة والدفاع عن نفسها بقوة وضراوة. لا زالت التقارير التى جاءت من جوام Midway & Wake مشوشة بعض الشيء، ولكن يجب علينا أن نتاهب لأن نعلن أن جميع القواعد العسكرية الموجودة فى تلك الاماكن قد تم الاستيلاء عليها ومحاصرتها.

لا شك أن القوائم المَدُون بها أسماء القتلى والجرحى ستكون كبيرة، أشعر فى أعماقى بذلك القلق الذى تشعر به أسر الضحايا من رجال قواتنا المسلحة وأقارب الضحايا فى المدن التى تم قصفها، كل ما يمكننى أن أفعله هو أن أتعهد أمامهم بأنهم سيتلقون أخباراً جديدة فى أسرع وقت ممكن. سوف تضع هذه الحكومة ثقتها فى قوة الشعب الأمريكى وقدرته على الاحتمال، ولن نعرض الحقائق على الشعب إلا إذا توافر فيها شرطان :

الأول : أن تكون المعلومات واضحة ومؤكدة من جهة رسمية .

والثانى : ألا تكون المعلومات التى يتم السماح بنشرها ذات قيمة بالنسبة للعدو ، سواء كان ذلك بشكل مباشر أو غير مباشر .

أناشد بقوة سكان الريف أن ينبذوا الإشاعات والمروجين لها، خاصة وأنها سريعة الانتشار فى وقت الحرب، يجب عليهم أولاً أن يتحققوا منها ويقوموا بتقييمها .

وكمثال على ذلك، يمكننى أن أخبركم بكل صراحة أنه لن تتوفر لدى

المعلومات الكافية التي تمكننا من تحديد مدى الضرر الذي تعرضت له سفننا البحرية في «بيرل هاربر» إلا بعد أن نقوم بإجراء تقييم شامل للموقف، لا شك في أن الضرر سيكون بالغاً، ولكن لن نستطيع أحد أن يذكر مدى هذا الضرر حتى نعرف إلى أي مدى يمكننا إصلاح هذا الضرر وتعويضه والوقت الذي سنستغرقه لتحقيق ذلك.

أود أن أورد مثلاً آخر، هو ذلك البيان الذي ألقى مساء الأحد، ويذكر أن حاملة الطائرات اليابانية هبطت بعيداً عن منطقة القناة. عندما تسمعون تلك التصريحات التي يطلقون على المصادر التي وصلت من خلالها «مصادر موثوق بها» يمكنكم التأكد - من الآن فصاعداً - أنه في ظل ظروف الحرب تلك لا يكون «المصدر الموثوق به» أي شخص في السلطة.

لا شك في أن تلك الإشاعات والتقارير العديدة التي نسمعها الآن منشؤها العدو، فنجد اليابانيين اليوم - مثلاً - يدعون أنهم استطاعوا تحقيق التفوق والسيادة البحرية في منطقة المحيط الهادئ نتيجة لهجومهم الوحيد على «هاواي»، تلك خدعة قديمة لجأ إليها النازيون لمرات لا حصر لها من أجل ترويع ونشر الدعاية لأنفسهم، تهدف كل هذه الادعاءات الوهمية إلى نشر الخوف والاضطراب بيننا، وإلى حثنا على كشف معلومات عسكرية يتهدف الأعداء للحصول عليها.

لن تقع حكومتنا في هذا الفخ، ولا أبناء الولايات المتحدة أيضاً.

يجب ألا ينسى كل فرد فينا ضرورة أن يتم حصر الاتصالات العاجلة المستقلة الخاصة بنا في ذلك الوقت، فلا يمكن استقبال تقارير كاملة دقيقة وعاجلة من مناطق القتال البعيدة. يُعد ذلك أمراً مهماً فيما يتعلق بالعمليات البحرية؛ ففي عصر اللاسلكي يستحيل على القادة من مختلف الوحدات أن

يعلنوا عن أنشطتهم باستخدام الموجات اللاسلكية؛ لأن المعلومات المرسلة ستكون بذلك متيسرة لدى العدو الذى سيتمكن من تحديد مواقعهم والخطوة التى ينتوون القيام بها دفاعية كانت أو هجومية.

لذلك سنكون فى حاجة إلى أن نرجئ التأكيد الرسمى لتقارير العمليات أو تكذيبها، ولكننا لن نخفى أية حقائق عن الشعب طالما أننا نعرفها، وطالما أن العدو لن يستفيد من الإفصاح عنها.

إلى كل المحطات الإذاعية والصحفية - كل من يصل إلى أعين ومسامع الشعب الأمريكى - أقول هذا : لديكم مسئولية كبرى تجاه الأمة الآن وطوال مدة هذه الحرب.

إذا ما شعرتم أن حكومتكم لا تكشف الحقيقة كاملة، فلديكم الحق كاملاً فى أن تقولوا ذلك، أما إذا لم تكشف المصادر الرسمية عن أية حقائق فلن يكون ديكم أدنى حق - كأمريكيين ووطنيين - فى أن تنشروا تقارير غير مؤكدة وتذيعوها على الناس بطريقة تجعلهم يعتقدون أنها حقائق مطلقة لا ريب فيها، يجب على كل مواطن فى مختلف حقول الحياة وميادينها، أن يشارك فى هذه المسئولية.

تعتمد أرواح جنودنا وبحارنا - مستقبل هذه الأمة - على الأسلوب الذى يتبعه كل فرد فينا للوفاء بواجباته والتزاماته تجاه بلادنا. الآن كلمة عن الماضى القريب والمستقبل: لقد انقضى عام ونصف منذ سقوط فرنسا، عندما أدرك العالم لأول مرة أن دول المحور قد طوّرت وزادت من القدرات الآلية لأعوام عديدة، لقد استغلت الولايات المتحدة هذه الفترة (عاماً ونصف العام) لصالحها. علماً باحتمال أن يُشن هجوم وشيك ضدنا، بدأنا على الفور فى تنمية قوتنا الصناعية وقدرتنا الاقتصادية، وذلك للوفاء بمطالب الحرب الحديثة.

اكتسبت شهور عديدة قيمة من خلال إرسال كميات ضخمة من موادنا الحربية إلى دول العالم التي لا زالت قادرة على صد عدوان دول المحور. تركز سياستنا على حقيقة جوهرية، وهي أن القوة الدفاعية لاية دولة تقاوم «هتلر» أو «اليابان» هي فى النهاية القوة الدفاعية لبلادنا، لقد تم تأييد هذه السياسة، لقد منحتنا الوقت، وقتاً ثميناً - لبناء خطوط الإنتاج التجميعية الامريكية.

يجرى العمل الآن بخطوط التجميع، وهناك خطوط أخرى فى طريقها إلى مرحلة الإتمام، لقد منحتنا هذه الشهور الثمانية عشر الكثير، لقد منحتنا مورداً متجدداً من الدبابات والطائرات، والمدافع والسفن، والقذائف، والكثير من المعدات الحربية الأخرى.

ولكن ما هذه إلا بداية للكثير من الامور التى يجب علينا القيام بها، يجب علينا أن نتأهب لمواجهة حرب طويلة ممتدة ضد لصوص جبارين مكرين، يمكن أن يتكرر الهجوم على «بيرل هاربر» فى أى وقت، وفى العبد من المواقع، مواقع فى كِلا المحيطين وعلى طول حدود سواحلنا، يمكن أن يتكرر أيضاً ضد بقية الدول فى النصف الآخر من الكرة الأرضية.

لن تكون حرباً ممتدة فحسب، وإنما ستكون حرباً شاقة. ذلك هو الأساس الذى نبني عليه كل خططنا الآن. ذلك هو المعيار الذى سنقيس به ما الذى سوف نحتاجه من أموال، ومواد، إنتاج مضاعف أو إنتاج متضاعف أربع مرات، لا يجب أن يكون الإنتاج من أجل الجيش والبحرية والقوات المسلحة الامريكية فقط، وإنما يجب أن يدعم الجيوش والقوات المسلحة الأخرى التى تقاوم النازيين وملوك الحرب اليابانيين فى كل شبر من الاراضى الامريكية - سواء الشمالية أو الجنوبية - وعبر العالم ، لقد كنت أبحث اليوم فى موضوع الإنتاج، وصلت حكومتكم إلى قرار بشأن سياستين رئيسيتين:

الاولى : هى العمل على سرعة زيادة الإنتاج، من خلال العمل المتواصل طوال الأسبوع فى أى صناعة حربية، بما فى ذلك إنتاج المواد الخام اللازمة.

السياسة الثانية : يجرى الآن وضعها فى حيز التنفيذ، وهى إدخال إضافات جديدة للسعة الإنتاجية، عن طريق بناء وحدات صناعية جديدة، وإدخال إضافات إلى الوحدات الصناعية العظيمة، واستخدام الوحدات الصناعية الصغيرة للوفاء بحاجات الحرب.

منذ بداية الطريق الشاق الذى سلكناه فى الشهور الماضية وحتى نهايته، واجهتنا بعض العقبات، والصعوبات والانقسامات والخلافات، اللامبالاة والقسوة. لقد انقضى كل ذلك الآن، بل نُسِي تماماً.

الحقيقة هى أنه لدينا الآن منظمة فى واشنطن مؤلفة من رجال ونساء معروفين بخبرتهم كل فى مجاله، اعتقد أنكم تعرفون أن هؤلاء الأشخاص - بما لديهم من مسئولية فعلية تقع على عاتق كل واحد منهم - يحاولون استجماع قواهم بالتعاون مع إحدى فرق العمل التى لم يُعرف لها نظير قبل الآن.

فى طريقنا الآن يكمن العمل الجاد - العمل المنهك - ليل نهار، كل ساعة وكل دقيقة.

كنت على وشك أن أضيف أنه فى طريقنا أيضاً تكمن التضحية من أجل كل فرد فىنا.

ولكنه من الخطأ أن أستخدم هذه الكلمة، فالولايات المتحدة لا تعتبرها تضحية أن يقوم الفرد بكل ما فى وسعه، أن يكرُس جميع مجهوداته من أجل أمته التى تقاوم من أجل بقائها وحياتها المستقبلية.

إنها ليست تضحية بالنسبة لـ"رجل"، مُسن أو شاب، أن ينضم إلى الجيش أو البحرية الأمريكية، بل إنه امتياز يُمنح إياه.

إنها ليست تضحية بالنسبة للصانع أو الأجير، المزارع أو صاحب المتجر، عامل القطار أو الطبيب أن يدفع ضرائب أكثر، أن يشتري سندات أكثر، أن يُضَيِّع فرصة الحصول على أرباح إضافية، أن يعمل لفترة أطول وبجدية أكثر في المكان الذي يلائمه . بل إنه امتياز يُمنح إياه .

إنها ليست تضحية أن نستغنى عن العديد من الأشياء التي اعتدنا عليها، إذا كان الدفاع القومي يتطلب ذلك .

لقد بحثت هذا الصباح في أمور عديدة، وهذا البحث قادني إلى نتيجة مهمة هي أنه لا يجب علينا في الوقت الحاضر أن نُقلِّص الاستخدام الطبيعي للمواد الغذائية . فهناك طعام كافٍ من أجلنا اليوم ، وطعام كافٍ أيضاً لأن نرسله إلى من يقاتلون إلى جانبنا .

ولكن سيكون هناك نقص واضح في المعادن ذات الاستخدامات المدنية المتعددة، ويرجع ذلك بالطبع إلى أننا في هذا البرنامج المتنامي سنحتاج - لأغراض حربية - إلى أكثر من نصف حصصنا من المعادن الرئيسية التي دخلت خلال السنوات الماضية ضمن الاستخدام المدني . نعم، يجب علينا أن نتخلى تماماً عن العديد من الأشياء .

وإنني واثق من أن الناس في كل شبر من هذا الوطن مستعدون للانتصار في هذه الحرب، واثق من أنهم سيُسْهِمُونَ - عن طيب نفس - في دفع جزء كبير من تكلفتها المالية، بينما هي دائرة، واثق من أنهم سيتخلون عن تلك الأشياء المادية التي طُلب منهم التخلي عنها، وإنني واثق من أنهم سيُبْقُونَ على تلك الأشياء الروحية العظيمة التي لا يمكن بدونها التغلب على المصاعب، أكرر أن الولايات المتحدة لن تقبل إلا النصر التام والحاسم، لا يجب محو الغدر

اليابانى فحسب، وإنما يجب تحطيم جميع المصادر الوحشية الدولية أيضاً وإضعافها أينما وجدت .

قلت فى رسالتى للكونجرس امس : إننا ستعمل من أجل التأكيد على أن ذلك الشكل الخائن والغادر لن يُعرضنا لآى خطر مرة أخرى . كى نحقق ذلك ؛ يجب أن نبداً تلك المهمة الكبرى التى تتمثل أمامنا فى عدم تصديق هذا الوهم بأننا سنعزل أنفسنا عن باقى الجنس البشرى .

لقد تعلمنا درساً قاسياً فى السنوات القليلة الماضية، وكان الدرس أكثر قسوة فى الأيام الثلاثة الماضية .

يتمثل واجبنا نحو الموتى - إنه واجبنا المقدس نحو أبنائهم وأبنائنا - فى ألا ننسى أبداً ما تعلمناه .

وها هو ما تعلمناه :

لا يوجد شيء تعتز به أية أمة - أو أى فرد - مثل أمنها فى عالم تحكمه قوانين القتل، لا يوجد شيء تعتز به أية أمة مثل دفاعها الحصين ضد أعداء جبارين تسللوا فى الظلام ووجهوا ضربتهم دون أى إنذار .

لقد تعلمنا أن منطقة المحيط الهادئ غير مستثناة من أى هجوم عدوانى عليها .

لقد تعلمنا أنه لا يمكننا أن نقيس مدى الأمن الذى نتمتع به على أساس بُعد الأميال . يمكننا الاعتراف بأن أعداءنا قد نجحوا فى القيام بعمل خداعى فذ، حدد له التوقيت المناسب، وتم تنفيذه بمهارة كبرى، لقد كان عملاً مخزياً شائناً، ولكن يجب علينا أن نواجه حقيقة أن الحرب الحديثة التى تُدار بالأساليب النازية ما هى إلا عمل قذر حقير . نحن نبغضها، لا نرغب فى الدخول فيها، ولكننا فيها بالفعل، لذلك سنقاتل بكل ما أوتينا من قوة .

لا اعتقد أنه لدى أى أمريكى أدنى شك فى قدرتنا على إنزال العقاب
الصارم بمرتكبي هذه الجرائم . تعرف حكومتكم أن ألمانيا قد ظلت لأسابيع
تُخبر اليابان وتُحذرها من أنه إذا لم تشن هجوماً على الولايات المتحدة، فلن
تشاركها تقسيم الغنائم التى سلبتها عندما يحل السلام، لقد وعدتها ألمانيا
بأنها إذا دخلت الولايات المتحدة فستكون لها بذلك سيطرة كاملة ودائمة على
المحيط الهادئ برمتها ، ولا يعنى ذلك الجانب الشرقى فقط، وإنما كل الجزر
التابعة للمحيط الهادئ أيضاً، وستكون لها أيضاً السيطرة الخائفة على
الساحل الغربى من شمال ووسط وجنوب أمريكا، نعرف أيضاً أن ألمانيا
واليابان تديران عملياتهما العسكرية والبحرية وفقاً لخطة مشتركة، تنظر هذه
الخطة إلى كل الشعوب وكل الأمم التى لا تقدم يد المساعدة لدول المحور
باعتبارها عدوة لها.

تلك هى خطتهم الكبرى؛ لهذا يجب على الشعب الأمريكى أن يدرك أن
هذه الخطة يمكن أن تتناسب فقط مع خطة كبرى مشابهة لها، يجب علينا أن
ندرك أن النجاحات التى حققها اليابانيون ضد الولايات المتحدة فى المحيط
الهادئ ستكون مُعينة لألمانيا فى العمليات التى تقوم بها فى ليبيا، وأن أى نجاح
المباني ضد القوقاز سيكون حتماً مُعِيناً لليابان فى عملياتها ضد هولندا، وأى
هجوم ألماني ضد الجزائر أو المغرب سيفتح الطريق أمام ألمانيا للهجوم على جنوب
أمريكا والقناة.

فى الجانب الآخر من الصورة، يجب أيضاً أن نتعلم كيف أن حرب
العصابات ضد الألمان - لنقل فى صربيا والنرويج - ستساعدنا، فأى هجوم
روسى ناجح ضد الألمان سيساعدنا، وأى نجاحات بريطانية - سواء فى البر أو
البحر - فى أى منطقة من العالم ستقوى سواعدنا.

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET